الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم: اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات تطبيقية

قواعد التخاطب في مقالات "عبد الحميد بن باديس" - مقاربة تداولية -.

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

من إعداد الطالبتين:
- سعاد قطاف
- سهيلة قبلي

إشراف الدكتورة:
- فريدة موساوي

لجنة المناقشة:

1- أ/ كاهنة دحمون.....جامعة البويرة.....رئيسا
2- فريدة موساوي.....جامعة البويرة .....مشرفا ومقررا
3- أ/ رشيد عزي.....جامعة البويرة .....عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 2019/2018

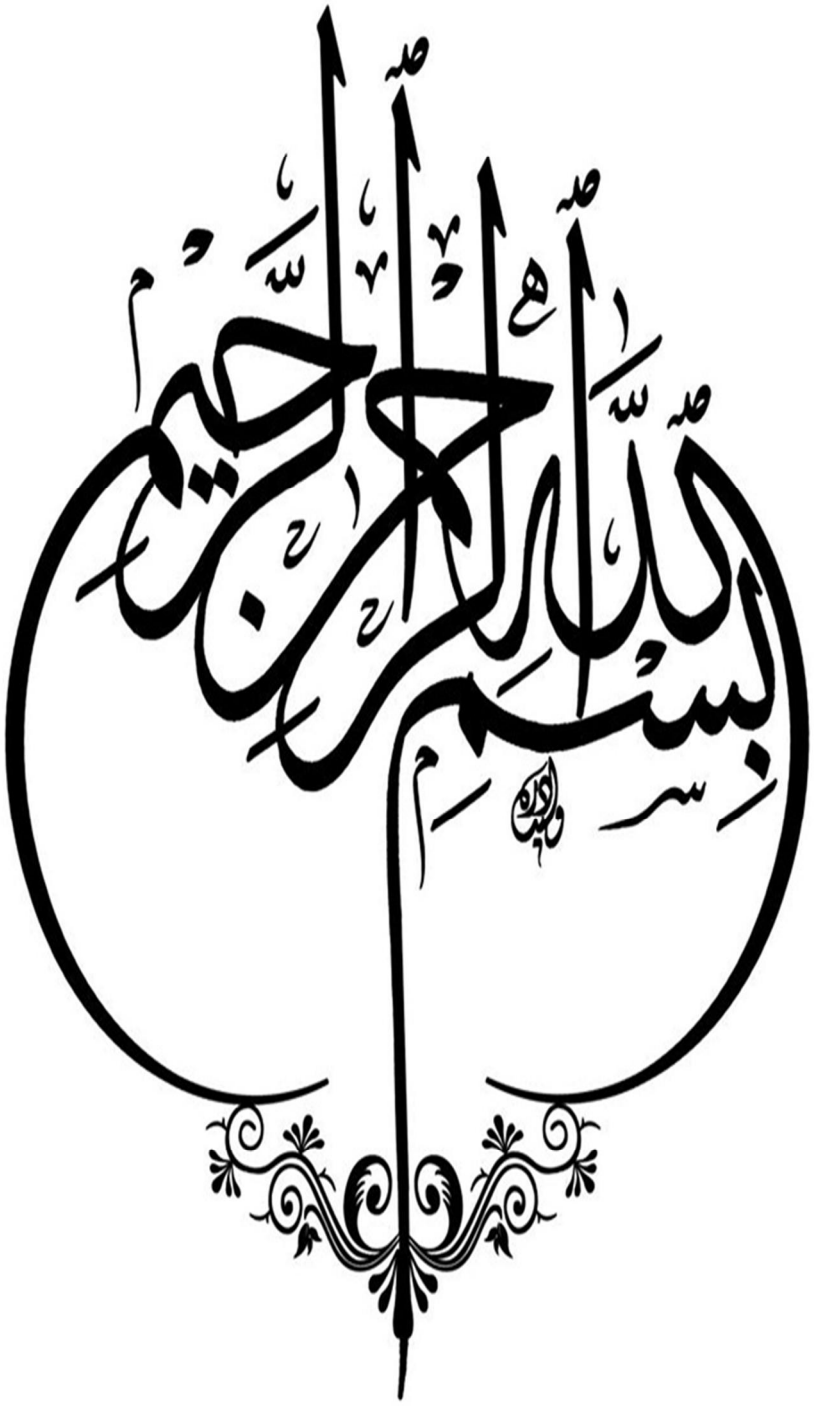
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

مصداقا لقوله تعالى:﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾

وبواجب الحمد والشكر لله تعالى وجب أن نتقدم بالشكر والاعتراف بالفضل والجميل

إلى الأستاذة التي صاحبتنا طوال مدّة إنجاز هذا البحث، فكانت عونا لإرشادنا

وتصويبنا، فلها منا جزيل الشكر والتقدير والاحترام .

كما نتقدم أيضا بالشكر إلى جميع أساتذتنا الكرام الذي تعلّمنا منهم واستفدنا الكثير

من خبراتهم.

الإهداء

اهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين خفضهما الله وبارك فيهما

إلى إخوتي الأحبة: يوسف، إبراهيم، ساعد.

إلى أخواتي الغاليات منبع قوتي وإرادتي: نورة، عائشة، ربيعة

والى أبنائهم: سيد علي، محمد إسلام، عبد الجليل، إسحاق، دعاء، سرين.

إلى جميع الصديقات الوفيات: فضيلة، إيمان، نوال.

إلى من سُعدت بالعمل معها وأُنست بصحبتها: سهيلة.

وإلى كل الأحبة والأحباب.

سعاد

الإهداء

اهدي ثمرة جهدي إلى من جعلوا من مدرسة الحياة وكفاحها درراً وجواهرًا تضيء لنا طريق الهداية وتحلق بنا في رحاب العلم إلي ينبوع الحب والتضحية والوفاء إلى والدي الحبيبين .

إلى إخوتي الأحبة : أحمد، عبد السلام، يوسف.

إلى أختي الحبيبة : كريمة والغالية مريم.

وإلى جميع أبنائهم :إيناس، روميسة، إيمان، فيصل، ابتسام، سلسبيل.

إلى الصديقات الغاليات وأخص بالذكر صديقتي وحبيبتي المُخلصة سعاد التي تشرفت وأثلجت سعادةً بصحبتها والعمل معها فنعم الصديقة ونعم الأخت المخلصة.

إلى كل من فاضت قريحتهم بعلم وتوجيهٍ سعى في تعليمنا.

سهيلة

مقدمة

تعدّ اللّغة جوهر الحضارات والقلب النابض لها تحيا بها الأمم وتَموت بموتها، وللّغة وظائف تعدّدت بتعدد زوايا النّظر إليها ورغم أهمية كل وظيفة، إلاّ أنّ للغة من المنظور التّداولي وظيفتان رئيسيتان ترتبطان بمقاصد الإنسان الذي يستعملها وبوضعه الاجتماعي وأهدافه، وهما الوظيفة التعاملية والوظيفة التفاعلية، ومن هذه النقطة تفطن بعض الفلاسفة والعلماء إلى ضرورة البحث عن مبادئ تضبط السير الحسن للمحادثة .

وقد انصب اهتمامنا في هذه الدراسة على المقالة التي تحتوي بداخلها على مجموعة من المبادئ التّخاطبية التي تُراعي الجانب التّداولي للّغة، ومن هنا جاء اختيارنا لمقالات عبد الحميد بن باديس كونها تستجيب لقواعد التخاطب في مختلف مضامينها، وهذا ما جعل منها مدونة صالحة للدراسة .

من أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع هوعدم تناوله بكثرة من طرف الباحثين،وكذا الالتفات إلى المواضيع التي تهتم بالجانب التداولي والاستعمالي للغة ومعرفة الضوابط التي قد يستخدمها الكاتب بطريقة صريحة من أجل الهدف الذي رسمه عند قيامه بالمحادثة سواء أكانت مروية أم مكتوبة.

وقد أثارت دراستنا هذه مجموعة من التساؤلات منها:

- إلى أي مدى تحققت قواعد التخاطب في مقالات عبد الحميد بن باديس ؟
- هل حقا كانت قواعد التخاطب المكملة لمبدأ التعاون بمثابة قواعد مسايرة له، أم كانت مختلفة عنه ومخالفة له ؟
- ما هي تجليات الاستلزام التخاطبي (الحواري) في مقالات ابن باديس ؟ وإلى أي مدى تحقق هذا الاستلزام من خلال قواعد التخاطب ؟

ارتكزت دراستنا هذه على المنهج التداولي الذي يتناسب مع طبيعة الموضوع .

وللإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة .

- التمهيد: تحدثنا فيه عن التداولية وأركانها ومفاهيمها.

- الفصل الأول: وسمناه بعنوان « قواعد التخاطب مبادؤها النظرية ومفاهيمها التأسيسية» قسمناه إلى ثلاثة مباحث. المبحث الأول: عرّفنا فيه المُحادثة في اللغة والاصطلاح وتطرقنا إلى منطقها الفلسفي، ومن ثم أتبعنا هذا المبحث بمبحث ثانٍ تطرّقنا فيه إلى الاستلزام: نشأته ومفهومه وأنواعه. وختمنا الفصل بمبحث ثالث تطرقنا فيه إلى المبدأ الأساسي للمحادثة ألا وهو مبدأ التعاون ثم قمنا بذكر المبادئ المكملة له التي جاء ترتيبها كالأتي: مبدأ التأدب ومبدأ التواجه ومبدأ التأدب الأقصى.

- الفصل الثاني: وسمناه ب :« قواعد التخاطب في بعض مقالات عبد الحميد بن باديس » والذي قسمناه إلى ثلاثة مباحث، حيث خُصص المبحث الأول منه إلى التعريف بمدونة البحث التي كانت عبارة عن مقالات، فأوردنا تعريف للمقالة وأنواعها وخصائصها عند عبد الحميد بن باديس، وكذا الحديث عن الحركة الإصلاحية في الجزائر. ومن ثم انتقلنا إلى مبحث ثان قمنا فيه باستخراج قواعد التخاطب « مبدأ التعاون » وكذا الحكم المتفرعة عنه ، وتجلي ظاهرة الاستلزام التخاطبي من خلال المقالات. أما المبحث الثالث فخُصص لاستخراج المبادئ التخاطبية المُكملة لمبدأ التعاون وكذا القواعد المتفرعة عنها .

وفي الخاتمة قدمنا أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث، ثم أدرجنا ملحقا للمقالات التي قمنا باختيارها من أجل دراستها وتحليلها تحليلا تداوليا، وتلتها قائمة المصادر والمراجع التي

اعتمدنا عليها لإنجاز المذكرة وفهرس المواضيع. ومن بين أهم المصادر والمراجع التي ساهمت في إثراء بحثنا وإتمامه نذكر على سبيل المثال :

"النظرية القصدية في المعنى" لصلاح إسماعيل، "القاموس الموسوعي لتداولية"، لكل من آن روبول وجاك موشلار،" استراتيجيات الخطاب": مقاربة لغوية تداولية ، لعبد الهادي بن ظافر الشهري، و"اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" ، لطه عبد الرحمن ، "وآثار عبد الحميد بن باديس"، لعمار الطالبي.

ومن بين الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا هي أنّ مواضيع التداولية لها روافد كبيرة تستمد منها مادّتها كالفلسفة التّحليلية وتحليل الخطاب واللسانيات، وهذا ماولد بعض الصعوبات للوصول إلى العناصر المناسبة لموضوع بحثنا، وكذا معرفة الجوانب النظرية المؤسسة له، أمّا السبب الثاني فتمثل في قلّة المراجع المترجمة التي تناولت النّظريات اللّسانية التي لها علاقة بعملية التّخاطب، كون أنّ عملية التخاطب والقواعد الضّابطة لها هي من صميم الفكر الفلسفي الإنجليزي التي قد تختلف ترجمته عن أفكار الفلسفة العربية .

وفي الأخير لا يسعنا سوى التقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة "فريدة موساوي" التي رافقتنا طوال مشوار هذا البحث، وصبرت علينا وقدمت لنا النّصائح والإرشادات حتى أتممنا هذه الدراسة.

تعدّ اللّغة جوهر الحضارات والقلب النابض لها تحيا بها الأمم وتَموت بموتها، وللّغة وظائف تعدّدت بتعدد زوايا النّظر إليها ورغم أهمية كل وظيفة، إلاّ أنّ للغة من المنظور التّداولي وظيفتان رئيسيتان ترتبطان بمقاصد الإنسان الذي يستعملها وبوضعه الاجتماعي وأهدافه، وهما الوظيفة التعاملية والوظيفة التفاعلية، ومن هذه النقطة تفطن بعض الفلاسفة والعلماء إلى ضرورة البحث عن مبادئ تضبط السير الحسن للمحادثة .

وقد انصب اهتمامنا في هذه الدراسة على المقالة التي تحتوي بداخلها على مجموعة من المبادئ التّخاطبية التي تُراعي الجانب التّداولي للّغة، ومن هنا جاء اختيارنا لمقالات عبد الحميد بن باديس كونها تستجيب لقواعد التخاطب في مختلف مضامينها، وهذا ما جعل منها مدونة صالحة للدراسة .

من أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع هوعدم تناوله بكثرة من طرف الباحثين،وكذا الالتفات إلى المواضيع التي تهتم بالجانب التداولي والاستعمالي للغة ومعرفة الضوابط التي قد يستخدمها الكاتب بطريقة صريحة من أجل الهدف الذي رسمه عند قيامه بالمحادثة سواء أكانت مروية أم مكتوبة.

وقد أثارت دراستنا هذه مجموعة من التساؤلات منها:

- إلى أي مدى تحققت قواعد التخاطب في مقالات عبد الحميد بن باديس ؟
- هل حقا كانت قواعد التخاطب المكملة لمبدأ التعاون بمثابة قواعد مسايرة له، أم كانت مختلفة عنه ومخالفة له ؟
- ما هي تجليات الاستلزام التخاطبي (الحواري) في مقالات ابن باديس ؟ وإلى أي مدى تحقق هذا الاستلزام من خلال قواعد التخاطب ؟

ارتكزت دراستنا هذه على المنهج التداولي الذي يتناسب مع طبيعة الموضوع .

وللإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة .

- التمهيد: تحدثنا فيه عن التداولية وأركانها ومفاهيمها.

- الفصل الأول: وسمناه بعنوان « قواعد التخاطب مبادؤها النظرية ومفاهيمها التأسيسية» قسمناه إلى ثلاثة مباحث. المبحث الأول: عرّفنا فيه المُحادثة في اللغة والاصطلاح وتطرقنا إلى منطقها الفلسفي، ومن ثم أتبعنا هذا المبحث بمبحث ثانٍ تطرّقنا فيه إلى الاستلزام: نشأته ومفهومه وأنواعه. وختمنا الفصل بمبحث ثالث تطرقنا فيه إلى المبدأ الأساسي للمحادثة ألا وهو مبدأ التعاون ثم قمنا بذكر المبادئ المكملة له التي جاء ترتيبها كالأتي: مبدأ التأدب ومبدأ التواجه ومبدأ التأدب الأقصى.

- الفصل الثاني: وسمناه ب :« قواعد التخاطب في بعض مقالات عبد الحميد بن باديس » والذي قسمناه إلى ثلاثة مباحث، حيث خُصص المبحث الأول منه إلى التعريف بمدونة البحث التي كانت عبارة عن مقالات، فأوردنا تعريف للمقالة وأنواعها وخصائصها عند عبد الحميد بن باديس، وكذا الحديث عن الحركة الإصلاحية في الجزائر. ومن ثم انتقلنا إلى مبحث ثان قمنا فيه باستخراج قواعد التخاطب « مبدأ التعاون » وكذا الحكم المتفرعة عنه ، وتجلي ظاهرة الاستلزام التخاطبي من خلال المقالات. أما المبحث الثالث فخُصص لاستخراج المبادئ التخاطبية المُكملة لمبدأ التعاون وكذا القواعد المتفرعة عنها .

وفي الخاتمة قدمنا أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث، ثم أدرجنا ملحقا للمقالات التي قمنا باختيارها من أجل دراستها وتحليلها تحليلا تداوليا، وتلتها قائمة المصادر والمراجع التي

اعتمدنا عليها لإنجاز المذكرة وفهرس المواضيع. ومن بين أهم المصادر والمراجع التي ساهمت في إثراء بحثنا وإتمامه نذكر على سبيل المثال :

"النظرية القصدية في المعنى" لصلاح إسماعيل، "القاموس الموسوعي لتداولية"، لكل من آن روبول وجاك موشلار،" استراتيجيات الخطاب": مقاربة لغوية تداولية ، لعبد الهادي بن ظافر الشهري، و"اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" ، لطه عبد الرحمن ، "وآثار عبد الحميد بن باديس"، لعمار الطالبي.

ومن بين الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا هي أنّ مواضيع التداولية لها روافد كبيرة تستمد منها مادّتها كالفلسفة التّحليلية وتحليل الخطاب واللسانيات، وهذا ماولد بعض الصعوبات للوصول إلى العناصر المناسبة لموضوع بحثنا، وكذا معرفة الجوانب النظرية المؤسسة له، أمّا السبب الثاني فتمثل في قلّة المراجع المترجمة التي تناولت النّظريات اللّسانية التي لها علاقة بعملية التّخاطب، كون أنّ عملية التخاطب والقواعد الضّابطة لها هي من صميم الفكر الفلسفي الإنجليزي التي قد تختلف ترجمته عن أفكار الفلسفة العربية .

وفي الأخير لا يسعنا سوى التقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة "فريدة موساوي" التي رافقتنا طوال مشوار هذا البحث، وصبرت علينا وقدمت لنا النّصائح والإرشادات حتى أتممنا هذه الدراسة.

الفصل الأول

قواعد التخاطب مبادؤها النظرية ومفاهيمها التأسيسية

المبحث الأول: المحادثة: مفهومها ومنطقها.

المبحث الثاني: الاستلزام: النشأة، المفهوم، الأنواع.

المبحث الثالث: قواعد التخاطب: مبدأ التعاون والمبادئ المكملة له.

- مبدأ التأدب.
- مبدأ التواجه.
- مبدأ التأدب الأقصى.

تمهيد:

شاع لفظ البراغماتية قديما وهذا على حساب التّداولية التي تم تعريبها إلى pragmatics بحيث "أُستخدمت لفظة البراغماتية لدى فلاسفة اليونان واشتقت من الكلمة اليونانية: براغما، أو براجما Pragma ."[1] ويعد تشارلز سندرس بيرس(peirce،charle)من الواضعين الأوائل لكلمة برجماتية "وأول من أعلن البرجماتية منهجا فلسفيا، وجاء جيمس من ورائه جون ديوي وأدلى برأيه في الحركة البرجماتية "[2] في حين تأسست البراغماتية اللغوية على يد الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس (Charles Morris) سنة 1938، وعلى هذا الأساس يعد تعريف موريس للتداولية أقدم تعريف لها "إذ إنّ التداولية جزء من السميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات ."[3] نفهم من تعريف موريس بأنه لايمكن الفصل بين التداولية والسيميائية وذلك من خلال أنّ التداولية تهتم بدراسة العلاقة الموجودة بين العلامة ومستخدميها. كما نجد أيضا تعريفا آخرا للتداولية أورده كل من آن روبول وجاك موشلار التي تَعني: "دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي تعنى به تحديدا اللسانيات."[4] تتقاطع التداولية مع اللسانيات في كون أن التداولية تُعنى بدراسة اللغة أثناء الاستعمال؛ في حين أن اللسانيات تدرس النظام اللغوي بمختلف مستوياته :صوتي، نحوي، تركيبي ،دلالي .

---

[1]- أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة ،عالم الكتب الحديث ،ط1 الأردن، 2015 م.ص5.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - فرانسواز ارمينكو، المقاربة التداولية، تر:سعيد علوش، مركز الأهاء القومي،دط، دت، ص5.

[4]- آن روبول – جاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، تر:مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مرا:خالد ميلاد، دار سيناترا، د ط، تونس، 2010م.ص5

أولا: أركان التداولية

1/ السياق: لا يمكن للنظرية تداولية أن تقوم بمعزل عن السياق باعتبار هذا الأخير له دور أساسي؛ لاحتوائه على مجموعة من العناصر المُكونة له والتي تصاحب وتساير العملية اللّغوية التخاطبية ومن بين هذه العناصر الرئيسية نذكر: المتكلم والمخَاطَب والزمان والمكان وعدد المشاركين.

حيث نجد عناصر ثانوية نذكر على سبيل المثال: طبيعة المناخ و الوضع السياسي ومنه فالسياق هو :"الوضعية الملموسة والتي توضع وتنطق من خلالها مقاصد تخص المكان والزمان وهوية المتكلمين ...الخ. وكل ما نحن في حاجة إليه من اجل فهم وتقويم ما يقال "[1]

يعتبر السياق الجانب المادّي المحسوس الذي تُبنى من خلاله المقاصد المرتبطة بالزمان والمكان وهوية المتّكلمين التي تتلاحم فيما بينها للوصول إلى المقصد الذي نشأ من أجله الخطاب.

أ/ عناصر السياق:

- **المرسِل (المخَاطِب):**

تُعد اللغة الوسيلة الأساسية التي يلجأ إليها المتكلم للتعبير عن مقاصده وأهدافه لذلك يعد المتكلم الأداة الفاعلة لتحقيق الوظيفة التي نشأت من أجلها اللغة ألا وهي :الوظيفة التواصلية التبليغية ومنه فالمتكلم هو :"الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتّلفظ به، من أجل التعبير

[1]- فرانسواز ارمينكو، المقاربة التداولية، ص6 .

عن مقاصد معينة، بغرض تحقيق هدف فيه."[1] و عليه لايمكن إنتاج أي خطاب مهما كان نوعه من غير دور المتكلم في العملية التّخاطبية .

- المرسَل إليه (المخَاطَب):

يعد المرسل إليه الطرف الثاني الذي يتلقى الخطاب ومنه:"يستعمل مصطلح المرسل إليه لتعيين الشخص المتكلم عندما يكتب أو يتكلم." يعدُّ المرسَل إليه أساس توجيه خطاب المرسل سواء أكان خطابا مكتوبا أم مرويا.

- الزمان والمكان:

يُعتبران من العناصر الموضوعية فهي تعد من "الوقائع الخارجية التي تم فيها القول: يَعني الظروف الزمانية والمكانية ."[2]

لذلك عُدت من أهم العوامل التي تحدد السياق فهما "...عنصران هامان في إيصال المعنى المطلوب للمخاطب، لذلك فان اِختيار العلامات اللغوية بشكل عام، وإشارات الزمان والمكان بشكل خاص، لها بالغ الأهمية في تكوين الخطاب. "[3]

2/ العناصر المشتركة :

يشترط أي خطاب وجود معرفة مشتركة يشترك فيها كل من المتكلم والمخاطَب؛ وهي النقطة التي ينطلق منها المرسل في إنتاج خطابه، كما يستفيد منها أيضا المخاطَب للوصول إلى مقصد

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب :مقاربة لغوية تداولية ،دار الكتاب الجديد المتحدة،ط1 ، بيروت ،لبنان، 2004م.ص45 .

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثارها في الدراسات النحوية المعاصرة ، ص16

أو هدف المتكلم، ومنه تنقسم هذه المعرفة إلى: "معرفة عامة بالعالم، ومنها معرفة كيف يتصل الناس ببعضهم البعض، وكيف يفكرون، وكيف يستطيعون أن ينجزوا أفعالهم اللغوية داخل المجتمع...المعرفة بنظام اللغة، في جميع مستوياتها..."[1]

ثانيا: مفاهيم التداولية

تتكون التداولية من مجموعة من المفاهيم الإجرائية من أهمها مايلي:

1/ أفعال الكلام (Les actes de langages):

تنسب نظرية الأفعال اللغوية للفيلسوف "جون لنشو اوستين(J –L-Austin) التي جُمعت في محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1955، في مصنفه المنعوت ب :How to do things with words) كيف تنجز الأشياء بالكلام ."[2] التي ترتكز نظريته على فكرة الإنجازية، والتي مفادها :"أن بعض الملفوظات في حقيقتها لا تصف شيئا في العالم، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، ولكنها تؤدي أفعالا مثل (الوعد ، التحذير ...)"[3] وعليه فالنقطة الرئيسية التي أكد عليها أوستين هي أن كل قول يجب أنْ يُنجز في فعل، وعلى هذا الأساس قام بالتمييز بين العبارات الانجازية و العبارات غير (الانجازية الوصفية).ومن أمثلة العبارات الوصفية التي تصف إحساسات اعتذر، إني متأسف... أما العبارات الانجازية ؛أُدعم

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب :مقاربة لغوية تداولية ، ص 49

[2]- يُنظر: باتريك شارودو- دومينيك مونغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادى صمود ، ص20

[3]- خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية ، ص 24

رأيي، أتنبأ، أتوقع ...وشرط العبارات الإنجازية هو ملائمتها للواقع "[1]ومن هذه النقطة "اعترف اوستين بوجود انشائيات ضمنية أو أولية، ومنه جاءت فكرته بأن كل الملفوظات مزودة بقوة متضمنة في القولForse illocutoire."[2] ففي نظر اوستين أن كل الأقوال تنتج ثلاثة أعمال هي:"عمل القول(قول شيء ما) وعمل متضمن في القول (أعمال تنجز "عندما نقول شيئا") "وعمل تأثير بالقول "أعمال تنجز" بعملية قول شيء ما"[3]

ويقترح أوستين Austinخمسة أقسام للأفعال الكلامية نجملها فيما يلي :

"الأفعال الدالة على الحكم (Actes verdictifs).

الأفعال الدالة على الممارسة (Actes Exercitifs)

الأفعال الدالة على السيرة (Actes Cinductifs)

الأفعال الدالة على الوعد(Actes Commissifs)

الأفعال الدالة على العرض (Actes Expositis)"[4]

يعدُّ فكر سورل امتداد لفكر اوستين من خلال نظرية أفعال الكلام بصفة عامة، والمفاهيم التي تحويها بصفة خاصة، هذا ما جعل سورل يعيد النظر فيما جاء به أستاذه اوستين؛ أما النقطة التي ألحّ عليها هي ضرورة التمييز بين "العمل المتضمن في القول الموافق لمختلف الأعمال التي يمكن

---

[1]- خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية ، ص 24.

[2]- ينظر : باتريك شارودو – دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص21.

[3]- المصدر نفسه،صفحة نفسها.

[4]- جميلة روقاب، نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي واللسانيات التداولية –أوستين وسورل أنموذجا -، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، العدد 15 ،2016، ص11.

تحقيقها بوسائل لغوية :الوعد و الأمر ...الخ؛ والقوى أو القيم المتضمنة في القول مكونات ملفوظ تمكنه من الاشتغال كعمل خصوصي بتركبه مع المحتوى القضوي الخاص بهذا الملفوظ)؛ والأفعال المتضمنة في القول، وهي وحدات معجمية تسمح في لغة ما بتسمية مختلف الأعمال..."[1] ومنه أعاد سورل النّظرَ فيما يخصُ تصنيف الأعمال اللّغوية التي جاء بها اوستين، ومنه كان تصنيف سورل للأعمال اللغوية كالأتي :الاثباتية والتوجيهية والتعبيرية والتصريحية "[2]

2/ متضمنات القول (Les implicites):

يتعلق هذا المفهوم:"برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال و غيرها."[3] نلحظُ في بعض الأحيان بأن هناك الكثير من الأقوال تكون متّضمنة أكثر مما يتوقعه المخاطَب، ويُدركها هذا الأخير من خلال السياق وعناصره .

تتكون متضمنات القول من عنصرين هما:

3/ الافتراض المسبق (Présupposition) :

يلعب هذا الأخير دورا حاسما في العملية التواصلية ، بحيث يعد :"الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل ، وهي محتواة ضمن السياقات و الُبنى التركيبية العامة "[4] لذا

---

[1]- باتريك شارودو – دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادى صمود، ص21

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- محمود عكاشة، النظرية البرجماتية اللسانية التداولية –دراسة المفاهيم النشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، ط1،القاهرة ، 2013م.ص83 .

[4]- خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، ص30

تعد المعطيات المسبقة المتعارف عليها من قبل المتخاطبين شرطاً أساسياً وضرورياً لتحقيق النجاح في عملية التواصل .

4/ القول المضمر(Les sous entendus):

هو المعنى الذي لا يمكن أن نستشفه من المعنى الحرفي للجملة، أي يتعداه إلى معنى آخر مضمر يُفسر عن طريق التأويل وفقا للسياق الذي ورد فيه، وعلى هذا الأساس جاء تعريف اوركيوني للقول المضمر بأنه :"كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث."[1]

[1]- خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، ص30

المبحث الأول: المحادثة : مفهومها ومنطقها .

أولا : تعريف المحادثة :

اشتقت لفظة المحادثة من الجذر اللغوي (ح، د، ث) من معجم لسان العرب، حيث نجد:"مصدر حدث إنّما هو التحديث، فأما الحديث فليس بمصدر. والحديث: ما يحدث به المحدث تحديثا، وقد حدثه الحديث وحدثه به.أما الجوهري فقال:المحادثة والتحادث والتحدث : معروفات[1]"

أمّا التعريف الاصطلاحي للمحادثة فنجد أن لها مفهوم ضيق يتمثل في :"الكلام الذي يظهر عندما يجتمع مجموعة من الأفراد لمدّة قصيرة بعيدًا عن الهموم المادية، في لحظة لا ترمي لغاية غير تجزية الوقت ."[2] أكد هذا التعريف على أنّ المحادثة ما هي إلاّ نشاط كلامي عادّي يحصل بين مجموعة من الأفراد في تفاعلاتهم الاجتماعية اليومية التي لا ترمي إلى بلوغ هدف أو غاية.أما التعريف الواسع للمحادثة يتمثل في كونها: "نشاط في ذاته ولأجل ذاته يظهر في مناخ مفعم بالهدوء والطمأنينة، إنها نشاط خاص يجمع بين عدد المشاركين يكونون في حالة من الانتباه والثقة."[3] هذا التعريف هو نقطة الانتقال من مفهوم عام وبسيط إلى مفهوم أكثر دقة وعلمية تتحكم فيه مجموعة من القواعد والضوابط، وعليه :"إن المحادثة الحقة تستلزم التبادل والإنصات اليقظ والموضوعات الجادة المعالجة بعمق، إن الأمر يتعلق بلحظة مخصوصة غايتها التعبير عن الأهواء."[4] فالمحادثة

---

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ،دار صادر،ط4، بيروت ، 2005 ،م3 ،ص53 ،مادّة (ح،د،ث)

[2]- خطابي محمد عبد الرحمان ،لسانيات النص وتحليل الخطاب ،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1،الأردن،عمان، 2013م، الجزء 1، مجلد1، ص216 ،

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

إذّن تقوم بين متخاطبين يشتركان في تبادل الكلام ،مما يستلزم الانتباه و الإنصات الجيد بغية المحافظة على سيرورة العملية التخاطبية .

ثانيا : منطق المحادثة (من ستراوسون إلى بول غرايس):

إن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن نشير إلى الإرهاصات الأولى التي دعت إلى ظهور نظرية اصطلح عليها : نظرية التخاطب أو نظرية الاقتضاء (implicature theory) كون أن هذه النظرية تبنوها فلاسفة ينتمون إلى مدرسة اكسفورد في الأربعينيات من القرن العشرين، كما تنتمي هذه الأخيرة إلى مدرسة الفلسفة التحليلية، وعليه فنقطة البداية التي انطلق منها هذا التيار الفلسفي هي أن :"المنطق الكلاسيكي لا يستطيع أن يقدم تفسيرا دقيقا لدلالة التعبيرات في اللغة الطبيعية "[1] هذا دليل على أن فلاسفة اللغة العادية عابوا على المنطق الكلاسيكي وثاروا عليه واتهموه بالقصور والنقص، نجد على رأسهم ستراوسون (strawson) وذلك في مقاله المعنون :"في الإشارة On referning في مجلة Mind العقل عام 1950 ،حيث جاء رده واضحا على نظريتين هما : نظرية الأوصاف the description theory عند راسل ، ونظرية المعنى لأرسطو ،وختم مقاله بهذه العبارة : لا تعطي قواعد أرسطو ولا قواعد راسل المنطق الدقيق لأي تعبير في اللغة العادية ، لان اللغة ليست لها منطق دقيق ."[2] أكد ستراوسون على نقطة رئيسية مفادها :ان قواعد كل من أرسطو وراسل لا يمكن تطبيقها على اللغة العادية ، باعتبار أن هذه الأخيرة ليست علما دقيقا كالرياضيات .وبعد عامين تعمق ستراوسون في هذه المسالة وقدم كتابه الموسوم ب: "مقدمة لنظرية منطقية

---

[1]- صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند جرايس ،مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ،القاهرة، مصر، الحولية 25 ،الرسالة 230 ،1426 -2005م ،ص82

[2]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

"،وذلك عام 1952 الذي عارض فيه وبشدّة على المسلمة القائلة ."أن روابط منطق القضايا أو منطق الأدوات الصورية مثل (.) و (v) و(c) يستطيع تفسير معاني الروابط اللغة الطبيعية المناظرة لها وهي (واو العطف) و(أو) و (إذا)."[1] وعلى هذا الأساس أكد منطق القضايا بإمكانية مقابلة الأدوات الصورية ،باعتبارها يمكن أن تُفسر ما ترمي إليه روابط اللغة العادية. ومن هنا استنتج فيلسوف اللغة العادية ستراوسون "أنه من الخطأ افتراض أن معنى الكلمة الانجليزية or (أو) تقدمه دلالة الأداة المنطقية (v).أن دلالة (v) يتعاقد عليها المنطقي بحيث تكون دلالة صدق، ولكن دلالة or تتحدد عن طريق الممارسة اللغوية الفعلية (الاستعمال)، وهذه الممارسة لا تنسجم مع تحليل دوال الصدق لدى المنطقي."[2] نفهم من هذا أنه لا يمكن مقابلة الأدوات المنطقية مع روابط اللغة العادّية، وذلك بسبب عدم قدرة هذه الأدوات المنطقية التي تُحدد الدلالة اللغوية الحقيقية،التي يمكن للاستعمال أن يقوم بتحديدها بشكل صحيح، ومنه عاب ستراوسون على علم الدلالة المنطقي بخصوص واو العطف لأنّه يرى :"أن شروط صدق القضية العطفية واحدة مهما غيّرنا المعطوفين."[3] أما فلاسفة اللغة العادية فيرون بأن شروط صدق الصيغة (ق و ك)متغيرة من الناحية السياقية، فهي في سياق تَعني الترتيب الزماني ، وفي سياق أخر تعني العلاقة السببية "[4] وعليه فإن السياق هو الذي يتحكم في صدق العبارة (الصيغة) والسبب راجع إلى أن السياق متغير أي غير ثابت.

---

[1]- صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، ص 82 .

[2]- المرجع نفسه، ص83 .

[3]- المرجع نفسه، ص84.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يعد غرايس أيضا واحدًا من فلاسفة اللغة العاديين الذين أولوا أهمية بالغة بالمسائل التي كانت شائكة آنذاك، التي ارتبطت ارتباطا وثيقا باللغة، ومنه فإن غرايس هو امتداد لما جاء به ستراوسون، غير أنّه "لم يذهب مذهب ستراوسون في نقد منطق القضايا، ولم يذهب مذهب أنصار منطق القضايا حيث فصل في الأمر وأقر بأن الفلاسفة الذين يقولون بوجود اختلافات في المعنى بين الأدوات المنطقية أو (الروابط المنطقية) ونظائرها في اللغة الطبيعة ينقسمون إلى اتجاهين :

الاتجاه الصوري (Formalist): نجد على رأس هذا الاتجاه فلاسفة الوضعية المنطقية الذين نادوا ببناء لغة مثالية(Ideal language) أو كاملة منطقيا Logically perfect ،فالهدف الأسمى الذي كان يطمح إليه هؤلاء الفلاسفة هو بناء العلم على أسس متينة طالما أن عبارات العلم يمكن التعبير عنها عن طريق هذه اللغة المثالية .

الاتجاه اللاصوري Informalist : يعد هذا الاتجاه نقيض الاتجاه الصوري ،الذي كان رده واضحا على ما جاء به أصحاب الاتجاه الصوري، حيث أكد بأن اللغة تؤدي أغراضا كثيرة لا تقل أهميتها عن أغراض البحث العلمي. ونستطيع أن نعرف معرفة تامة ما يعنيه التعبير، ونعرف بالأحرى ، أنّه معقول، من غير أن نعرف تحليله ."[1] وعليه فإن غرايس أعطى توضيحا وشرحا كافيا لكل من الفريقين، غير أن هدفه لم يتمثل في الفصل بين الفَريقين، وإنّما في التوصل إلى حل يسدُّ الإبهام والغموض الذي خلفه كلا من الاتجاهين،"قد يهتدي هذا المنطق بالمنطق المبسط للروابط الصورية ولكن دون أن يتركه يحل محله. وفي الواقع لا يختلف المنطقان فحسب بل يتعارضان أحيانا. فما

[1]- ينظر: صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعني عند جرايس، ص 85 و86.

يناسب عاملا صوريا من قواعد قد لا يناسب مقابله الطبيعي. "[1] ومن هنا يتبين لنا بأن غرايس تحلى بالموضوعية تُجاه هاذين الاتجاهين، فلم نَلحظ بأنه انحاز إلى اتجاه دون اتجاه أخر ، ولم يُدافع على أحد ولم يبرر لأحد منهم وعند انتهائه من النقاش في هذه المسالة الشائكة التي جرت بين هذين المتخاصمين توصل إلى إثبات هو :"أن الفرضية التي يتداولها الفريقان والتي مفادها إن هذه الاختلافات قائمة بالفعل هي وبصفة مجملة خطا شائع وان هذا الخطأ مرده إلى قلة الانتباه إلى طبيعة الشروط المتحكمة في المحادثة وإلى أهميتها ."[2] ومن هذه النقطة تحديدا عمد غرايس إلى البحث عن مبادئ وأسس تحكم وتسير العملية التخاطبية نحو النجاح .فكان مبدأ التعاون نتيجة توصل إليها غرايس .

[1]- عز الدين المجدوب، إطلالات على النظريات اللسانية والتداولية في النصف الثاني من القرن العشرين، تر:المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة " ، تونس، دط،2012 ،ج2 ، ص615 .

[2]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

المبحث الثاني: الاستلزام : نشأته ومفهومه وأنواعه .

أولا: نشأة الاستلزام التخاطبي :

" إن ظاهرة الاستلزام التخاطبي حديثة المعالجة، يرجع البحث فيها إلى المحاضرات التي ألقاها بول غرايس(P Grice) في جامعة هارفارد سنة 1967 بعنوان المنطق والمحادثة ."[1] وبالتالي تنشأ ظاهرة الاستلزام عندما ينوي المتخاطبان القيام بعملية الحوار أو المحادثة فكانت نقطة البِدء عند غرايس هي "أنّ الناس في تبادلهم للحوارات فيما بينهم قد يقصدون ما يقولون، أو يقصدون العكس مما يقولون "[2] نفهم من هذا أن غرايس تنبّه بأنّ هناك فرق بين ما يُقال وما يُقصد، واعتبرها نقطة مركزية في حواراتنا، كما نبَه المخاطَب أيضا بأن يكون حريصا عند تأويله للخطاب الموجه إليه. وكامتداد لهذه الفكرة أراد غرايس أن يبين لنا أوجه الاختلاف التي تحملها كل من الدلالة الطبيعية والدلالة غير الطبيعية، وذلك من أجل أن تتوضح لنا فكرة الاستلزام التخاطبي، الذي اعتبرها غرايس نقطة مهمة ترتكز عليها جل خطاباتنا، ومن ثمة إحكامها بمبدأ عام اصطلح عليه بمبدأ التعاون .

يتجلى الفرق بين الدلالة الطبيعية و الدلالة غير الطبيعية فيما يلي :

---

[1]- كادة ليلى، ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي بالوادي، الجزائر، العدد الأول، 2009م، ص105 .

[2]- علي فرحات جواد وعلاء سامي عبد الحسين، قواعد التخاطب اللساني في كتاب معاني القرآن للنحاس (ت 5338) مقاربة تداولية، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، العدد 19، 2016 م، ص412.

- **الدلالة الطبيعية** : وهي التي تُعرف بأنّها عبارة عن "ظواهر وضعت في علاقة مع أغراضها أو نتائجها ."[1] نفهم من هذا التعريف بأن هناك جمل تفسر من خلال علاقاتها التركيبية، وبعبارة أخرى توجد جمل تحمل علاقة سببية في طياتها، ومنه يمكن أن نستشف المعنى الإجمالي التي تصبوا إليه في النهاية . والمثال الأتي خير دليل على هذا: "تدل البثور المنتشرة على جلد زيد على أنّه يعاني من مرض جدري الماء."[2] فالبثور المنتشرة على جلد زيد سببها مرض جدري الماء. وعليه فالدلالة الطبيعية لا تخرج في تفسيرها إلى ماوراء الجملة .
- **الدلالة غير الطبيعية** : "يرتبط مفهوم الدلالة غير الطبيعية ارتباطا وثيقا بأحد معاني الفعل الانجليزي To mean وهو المعنى الذي نترجمه بالفرنسية إلى Vouloir dire (قصد)."[3] أولى غرايس اهتماما كبيرا بالدلالة غير الطبيعية ، باعتبارها هي التي تحقق التواصل اللغوي ، وذلك عن طريق تجاوز المعنى الحرفي للجملة إلى معرفة نوايا المتكلم وقصده . وتعرف بأنها: "تقول أن القائل قصد شيئا ما من خلال جملة معينة ، فذلك يعني أن القائل كان ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في مخاطبه بفضل فهم هذا الخطاب لنيته ."[4] نفهم من هذا التعريف أنه ليس بإمكان المخاطَب الوصول إلى المعنى الذي يقصده المتكلم من خلال المعنى الحرفي للجملة، لأن المتكلم اعتمد في عمليته التخاطبية على طريقة التلميح لا على التصريح المباشر، والمثال الذي ينطبق على هذا النوع من الدلالة هو :"أن يقول زيد لعمروا : إن غرفتك

---

[1]- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مرا: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان،2003، ص 53.

[2]- المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

[4]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

زريبة خنازير "[1] ففي هذا المثال قصد المتكلم أكثر مما قال ، ولم يصرح مباشرة بان غرفة عمرو غير نظيفة وغير منظمة.

ثانيا :تعريف الاستلزام :

اشتق مصطلح الاستلزام من المادة اللغوية (ل ز م) ، ومنه نجد معناه في لسان العرب بأنّه: "لزم: اللزوم: معروف. والفعل لَزَمَ يَلزمُ ، والفاعل لازمَ والمفعول به مَلزومٌ ، لزِمَ الشيءَ يلزمه لِزمًا ولزوما . ورجل لُزمَة : يَلزمُ الشيءَ فلا يُفارقَه."[2] أما معنى الاستلزام في الاصطلاح النقدي التداولي :"مكون لمعنى المتكلم الذي يشمل جانبا مما يعنيه ملفوظ المتكلم من دون أن يكون جزءا مما يقال ." إذن فالاستلزام يمكن توضيحه بأنه ذلك الجزء من المعنى غير المتلفظ به من قبل المتكلم، بحيث يحمل الكلام معنا ظاهرا ومعنا مضمرا، أي ما يقصده المتكلم بالفعل أو ما يريد توصيله من خلال الجملة الواحدة. أما معنى دلالة الالتزام :"هي دلالة اللفظ على معنى خارج عن معناه الحقيقي أو المجازي، إلا أنّه لازم له عقلا أو عرفا، وسميت دلالة الالتزام لأنه المعنى المستفاد لم يدل عليه اللفظ مباشرة ، ولكن معناه يلزم منه في العقل أو في العرف هذا المعنى المستفاد ."[3] نفهم أن دلاله الالتزام هي خروج اللفظ عن المعنى الحقيقي إلى معنى أخر مستلزم ، يمكن تأويله عن طريق العقل ، وكذا الاستعانة بالسياق والظروف المختلفة . أي بمعنى أخر لا

---

[1]- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل،تر:سيف الدين دغفوس، ص53.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، م 13، ص195، مادة (ل، ز،م)

[3]- عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي، دار القلم، ط4 ،دمشق ،1993م ، ص29 .

يمكننا أن نصل إلى المعنى الذي يستلزمه المتكلم بمعزل عن القدرات الذهنية التي يمتلكها المخاطب والتي تساعده على فهم غاية المتكلم .

مفهوم الاستلزام التخاطبي : رأى غرايس بأنّ هناك تقاطع منطقي بين مفهوم اللزوم المنطقي (Logical implication) والاستلزام التخاطبي (Conversational implicature) ومنه نجد عدة مصطلحات لمفهوم واحد ، والسبب راجع إلى وجود عدة ترجمات في اللغة العربية حيث نجد منها مايلي : نظرية التخاطب أو نظرية الاقتضاء (Theory of implicature).

وعلى هذا الأساس وردّ مفهوم الاستلزام التّخاطبي بأنّه : " عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء أخر ، أو قل : انه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به أو يقترحه ولا يكون جزءا مما تعنيه الجملة بصورة حرفية ."[1] وهذا ما يؤكده المفهوم التالي : "إنّ الاستلزام التخاطبي هو لون من ألوان الإضمار الحواري ، الذي يرمي إلى الوقوف على جملة ما في التداول الفعلي ، فيفسر هذه الجملة ويؤولها وفقا للسياق و الظروف المحيطة بها."[2] يعتمد الاستلزام التخاطبي على مجموعة من الآليات التي تساعد على فك المعنى المستلزم الذي يقصده المتكلم من خلال الجملة ، ذلك عن طريق السياق ومختلف الظروف التي تحيط بعملية التخاطب .

ثالثا :أنواع الاستلزام .

يميز غرايس بين نوعين من الاستلزام :

---

[1]- كادة ليلى، ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، ص105

[2]- ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب واللغات، 2012، ص108 .

1/ الاستلزام العرفي : إن هذا النوع من الاستلزام ثابت، لا يتغير إلا بتغير السياق الذي يرد فيه، وعليه فهو:"قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب ."[1]

2/الاستلزام التخاطبي (المحادثي): يقتضي المتكلم هذا النوع من الاستلزام عند تخاطبه مع الطرف الثاني، الذي يشترط سياق من أجل إنشائه ، وعليه :"يرتبط بالسياق فهو إذن متغير دائما بتغير السياقات التي يرد فيها ."[2] وبالتالي يقتضي المتكلم هذا النوع من الاستلزام عند تخاطبه مع الطرف الثاني، الذي يشترط سياقا من أجل إنشائه. ومنه :"فالاستلزام المحادثي هو الوحيد الذي تولده قواعد المحادثة (الكم والنوع والمناسبة والكيف)."[3] ومن هذه النقطة تتجلى نقطة الفصل بين الاستلزام التخاطبي المحادثي وبين الاستلزام العرفي (الوضعي)، في كونه لا يقوم بتوليد أي قاعدة من قواعد المحادثة.

---

[1]- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، جدار للكتاب العالمي، ط1، عمان، الأردن، 2009م، ص84 .

[2]- أنمار إبراهيم، في مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبي الكلمة المفتاح : الاستلزام التخاطبي، ص 109 .

[3]- آن روبول وجاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، تر : مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مرا:خالد ميلاد، دار سيناترا، دط، تونس، 2010، ص204 .

المبحث الثالث : قواعد التخاطب .

أولا: مبدأ التعاون (le principe de cooperation) :

يندرجُ هذا المبدأ على مستوى التواصل ، لأنه يعد بمثابة ضابط من الضوابطِ المتحكمةِ في العمليةِ التخاطبيةِ، حيث ينهض على فكرة اقترحها غرايس وهي :"أنّ مساهمات المتّكلمينَ في المحاورات يحكمهَا أثناءَ المحادثةَ مبدأ عامٌ مقبولُ ضمنياً من المتخاطبين يسميه مبدأ التعاون "[1] يقوم كل من المتكلم والمخاطَب على احترامِ هذا المبدأ الذي يسعى إلى أنْ تَسيرَ المحادثة وفق مايقتضيه، ومنه جاءت صياغة غرايس على النحو التالي :"لتكن مساهمتك في المحادثة لحظة حصولها وفق ما تقتضيه هدف المحاورة اللغوية التي انخرطت فيها أو وجهتها المقبولة "[2] ومن هنا يمكنّنا تلخيص فكرة هذا المبدأ العام في كونه مبدأ يرمي إلى أن يتعاون كل من المتخاطبين بالقدر المطلوب الذي يوفي بغرض المحادثة من جهة ومن جهة أخرى أيضا التيسير على المخاطب للوصول إلى تأويل صحيح لأقوال المتكلم، وهذا لا يتحقق إلا باحترام والسير على خطى مبدأ التعاون الذي يتحكم بشكل كبير في المحادثة .

1/حكم المحادثة (Maximes conversationnelles) المتفرعة عن مبدأ التعاون :

يتفرع عن مبدأ التعاون أربع مقولات عامة كل مقولة لها دورها في المحادثة حيث نجد من :" تتصل بكمية المعلومات المقدمة وبمدى صدقها ومناسبتها والكيفية التي صيغت بها. وقد أطلق

---

[1]- آن روبول وجاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ص214 .

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

على هذه المقولات اسم حكم المحادثة "[1] تختلف هذه المقولات فيما بينها، لأن كل مقولة لها اختصاصها، إلا أن الهدف واحد وهو التأويل الصحيح للخطابات التي يتبادلها المتخاطبون أثناء قيام المحادثة. حيث نجد إقراراً من قبل آن روبول وجاك موشلار تُجاه هذه الحكم وكما يسميها هذان الأخيران بحيث "لا تمثل قواعد المحادثة مجرد معايير ينبغي للمخاطبين اتباعها فحسب بل تمثل ما ينتظرونه من مخاطبيهم فهي مبادئ تأويل أكثر من كونها قواعد معيارية أو قواعد سلوك."[2] وعليه يجب أن لا نفهم بأن هذه القواعد جاءت لتُنظم سلوك الأفراد، بل غاية هذه الحكم أكثر من ذلك ،لأنّها تُعتبر مبادئ تأويل جاءت لتساعد إلى الوصول لما يريد تبليغه المتكلم للمخاطب، والعكس صحيح وهكذا، أي قيام سيرورة العملية التخاطبية على أكمل وجه .

- **حكم الكم :**

"لتكن مساهمتك محتوية الحد المطلوب من المعلومات .

لتكن مساهمتك غير محتوية حدا يفوق المطلوب من المعلومات.

- **حكم النّوع (الصدق) :**

لتكن مساهمتك صادقة

لا تؤكد ما تعتقد في كذبه

لا تؤكد ما تعوزك الحجج في شأنه

---

[1]- آن روبول وجاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، ص214.

[2]- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، ص57.

- **حكمة العلاقة (المناسبة):**

تحدث كلاما في محله (كن وثيق الصلة بالموضوع).

- **حكم الكيف :**

كن واضحا تجنب الإبهام في التعبير

تجنب اللبس

أوجز (تجنب كل إطناب غير مفيد .)

كن منظما "[1]

ومن هنا نلاحظ بأن هناك ترابطا قويا بين مبدأ التعاون والحكم المتفرعة عنه، وبالتالي لا يمكن أن نفصلهما عن بعض، كما أن هذه الحكم تتأثر ببعضها، أي كل حكمة تكمل الأخرى، وعليه يمكن القول بأن هذه الحكم تقوم على علاقة تأثير وتأثر .

ثانيا: المبادئ المكملة لمبدأ التعاون .

جاءت هذه المبادئ كامتداد لمبدأ التعاون الذي فتح بابا واسعا في تطوير التداوليات اللغوية التي اكتنفت مجموعة من المسائل وخاصة مايتعلق بدراسة الاستعمالات اللغوية، كعملية التخاطب. فاهتمت بكل الجوانب التي تحيط بهذه العملية، كاللغة وأطراف التخاطب والسياق. كل هذا جعل من أصحاب الاتجاه التداولي يتوسعون في الخوض في هذه المسائل، وهذا ماجعلهم غير مكتفيين بمبدأ واحد يحكم العملية التخاطبية، وعلى هذا الأساس أُقترحت قواعد إضافية تكمل وتسد الفراغ الذي تركه غرايس، إلا أنّ هذا الأخير تنبه إلى أن هناك جوانب أخرى أشار إليها في عبارته

[1]- جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص214و 215.

الصريحة حيث قال :" هناك أنواع شتى لقواعد أخرى جمالية واجتماعية وأخلاقية من قبل لتكن مؤدبا، والتي يتبعها عادة المتحاورون في أحاديثهم والتي تولد معان غير متعارف عليها ."[1] والسبب في هذا "أن نظريته لم تكن تهدف إلى بسط نموذج نظري متكامل للتفاعلات الحوارية التي تتصل بالحياة اليومية، بقدر ما استهدفت تحديد صنف من أصناف الاستدلال يتمثل في الاستلزامات الحوارية "[2] وهذا دليل بأنّه رَكز على جانب واحد وهو الجانب التبليغي، وهذا على حساب الجانب التهذيبي أو التعاملي، ومن هذا المنطلق انبثقت قواعد أخرى أُضيفت إلى ما اقترحه غرايس، ومنها نذكر مايلي :

1/مبدأ التأدب :

يعد هذا المبدأ بمثابة مبدأ تداوليا مكملا لمبدأ التعاون أوردته "روبين لاكوف(Robin lakof) في مقالتها الشهيرة منطق التأدب. "[3] منذِّدة بضرورة الالتفات إلى جوانب أخرى تتماشى مع العملية التخاطبية في مقدمتها الجانب التهذيبي. يقوم هذا المبدأ على مسلمة مفادها :"لتكن مؤدبا، يقضي هذا المبدأ بأن يلتزم المتكلمُ والمخاطَب، في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام، من ضوابط التهذيب ما لايقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ "[4] يتبين لنا بان روبين لاكوف كانت محاولتها صريحة بإدراج الجانب التهذيبي ومسايرته للجانب التبليغي لبلوغ الهدف

---

[1]- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات الظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، دار الأمان، ط1 الرباط ،2011م، ص 118.

[2]- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

[3]- المرجع نفسه، صفحة نفسه.

[4]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1 ،الدار البيضاء،1998 ، ص240.

من الكلام، ومنه تَندرج ضمن هذا المبدأ قواعد تهذيبية متفرعة عليه، صاغتها روبين لاكوف كالآتي :

" - **قاعدة التعفف وهي:**

لا تفرض نفسك على المرسل إليه، أي لتبق متحفظا، ولا تتطفل على شؤون الآخرين .

- **قاعدة التخيير ، وهي :**

لتجعل المخاطب يتخذ قراراته بنفسه ، ودع خياراته مفتوحة .

- **قاعدة (التودد)، وهي :**

لتظهر الود للمرسل إليه ،أي كن صديقا ."[1]

فمقتضى قاعدة التعفف ، عدم تجاوز الحدود الشخصية التي قد تسيء للمخاطَب (المرسل إليه)، و تعرقل بشكل من الأشكال السير الحسن الذي يجري عليه التخاطب ، ومن ثمة يجب على المتكلم انتقاء بعض الأساليب وترك أخرى كان يتجنب :"الصيغ التي تحمل دلالة وجدانية مثل أفعال القلوب ولا يحمله على فعل ما يكره ، محترزا من استعمال عبارات الطلب المباشرة "[2]

ومثال هذه القاعدة :"لو أذنت ، هل يمكن أن أسألك سؤالا ؟

تفضل .

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط1 ،بيروت، لبنان، 2004، ص100.

[2]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص241.

ما المسيحية ؟"[1] يتوضح لنا من هذا المثال بأن المتكلم لم يطرح سؤاله بطريقة مباشرة، بل سبقه بسياق أولي تمثل في الاستئذان (لو أذنت) وهذا دليل على احترامه لقاعدة التعفف.

لا تختلف قاعدة التخيير عن سابقتها لأنّها تُعتبر قاعدة بَديلة، باعتبار أن السياق قد يفرض نفسه في بعض الأحيان، فيتوجب على المتكلم أن يختار قاعدة دون أخرى، وعليه فقاعدة التّشكك كما اصطلح عليها طه عبد الرحمان "فتقضي بأن يتجنب المتكلم أساليب التقرير ويأخذ بأساليب الاستفهام كما لو كان متشككا في مقاصده بحيث يترك للمخاطب إتخاذ القرارات. "[2] وعلى هذا الأساس يجب على المتكلم أن يأخذ في حسبانه الأسلوب الواجب اتباعه من أجل اعطاء المخَاطب الحرية في اتخاذ القرار من دون ضغط عليه. ومثال ذلك " ربما ترغب في تحصيل ما في هذا الكتاب ...بدل أن يقول : ينبغي عليك تحصيل ما في هذا الكتاب "[3] يتبين لنا من خلال هذا المثال أن المتكلم أعطى حرية الاختيار للمخاطب، من خلال اعتماده على أسلوب التخيير "ربما ترغب" بدلا من أسلوب التقرير " ينبغي عليك ".

"أما قاعدة التودد فتقضي: أن يتودد المرسل إلى المرسل إليه بخطابه علامة على تأدبه معه، إذْ يقود ذلك إلى صداقة حميمة بين طرفي الخطاب"[4] ترمي هذه القاعدة إلى إقامة علاقة ودٍ بين المتخاطبين، وعدم الأخذ بعين الاعتبار كل من المرتبة والسِّن، أي يجب التساوي بين المتكلم

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب:مقاربة تداولية لغوية، ص101.

[2]- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص241.

[3]- ينظر:المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

[4]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص102.

والمخاطب ."مستعملا لذلك الأدوات والأساليب والصيغ التي تقوي علاقات التضامن والصداقة بينهما نحو ضمير المخاطب والاسم والكنية..."[1]

ومثال هذه القاعدة يتجلى في قوله :" يا معاذ ، عتبت عليك كثيرا

-يا إدريس لك العتبى حتى ترضى ،ماذا تريد بعد ؟"[2]

2/ مبدأ التواجه :

تطرق غوفمان سنة 1974 إلى وضع مفهوم للوجه (Face)" كل مشارك في التفاعل الكلامي يسعى إلى إعطاء صورة قيمية عن نفسه ، وذلك بالاجتهاد في تنظيم إخراج مسرحي لذاته يسير في هذا الاتجاه ."[3] وبعبارة أخرى يهدف كل مشارك في تكوين صورة عن ذاته يتواجه بها مع الطرف الثاني المشارك في التفاعل، وعلى هذا الأساس يسعى كل مشارك "من جهة أولى إلى الدفاع عن حيزه أو أرضه (La face négative)، ومن جهة ثانية يعرض صورة قيمية عن نفسه الوجه الايجابي (face positive) أو ما يعرف بكونه القيمة الايجابية التي يدعيها شخص من خلال نسق من الأفعال ."[4]

من هذا المنطلق وكامتداد لما جاء به قوفمان في تحليله للمحادثة والتفاعل الاجتماعي ، ظهر مبدأ التواجه الذي يضبط بدوره عملية التخاطب وهو ماتّم تحليله من قبل :" (براونBrown) وليفنسن(Levenson) في دراستهما المشتركة :"الكليات في الاستعمال اللغوي ظاهرة التأدب ""[5]

---

[1]- طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص241.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص102.

[3]- خطابي محمد عبد الرحمن، لسانيات النص وتحليل الخطاب ،ج1، ص214.

[4]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[5]- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص120

فمن خلال هذه الدراسة التي شرع فيها كل من براون وليفنسن لاحظ بان هناك علاقة تأثير وتّأثر بين هذه المبادئ التي تتحكم في العملية التخاطبية .

وعلى هذا الأساس تولد مبدأ التواجه الذي يرتكز على عاملين هما:

"- قيمة الوجه الاجتماعية : يجب على المرسل أن يصون وجه غيره ، ففي صيانة وجه غيره ، صيانة لوجهه هو أيضا ،وذلك علامة على الاحترام والتعاون بينهما ."[1] ترمي هذه القيمة إلى أهمية الجانب الاجتماعي التي يجب على الأفراد احترامه والتكافل فيما بينهم لتحقيق غاياته . ومنه قسم كل من براون وليفنسون الوجه إلى قسمين أساسيين هما :

" - الوجه الدافع ، وهو : رغبة الإنسان في أن لا يعترض الآخرون على أفعاله ."[2] يهدف هذا النوع إلى أن يدافع الإنسان على ما يقوم به سواء كان فعلا أو قولا .

"- الوجه الجالب، وهو رغبة كل واحد في أن تكون إرادته محترمة على الأقل من البعض الأخر."[3] يرمي هذا الوجه إلى جلب انتباه الطرف الأخر ، وذلك من خلال رسم صورة ايجابية عن ذات الشخص الذي تفرض عليه الاحترام و التقدير .

"- نسبة تهديد الوجه : ارتأى الباحثان إلى وضع استراتيجيات تضمن السير الحسن لعملية التّخاطب، ومن ثمة لزم تصنيف الأفعال التي تهدد الوجه ، ومنه فالأفعال اللّغوية ترتبط بنسبة تهديد الوجه و بالتّالي يمكن تصنيف الأفعال التي تهدد الوجه السلبي ، وكذلك الأفعال التي تهدد الوجه الايجابي وذلك وفق علاقاتها بكل من طرفي الخطاب .

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص103

[2]- المرجع نفسه، صفحة نفسها.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

المرسل إليه : ومن بين الأفعال التي تهدد الوجه الدافع للمرسل إليه ، هي ما يقوم به المرسل من أفعال معترضة ،نذكر منها مايلي :

-الأفعال التي تتطلب من المرسل إليه إنجاز بعض الأفعال في المستقبل ، مثل : الأوامر ، التهديد أو التحذير ، النصح أو الإرشاد ...الخ"

-الأفعال التي تتطلب منه ردة فعل إيجابية في المستقبل مثل : الوعد ،العرض .

-الأفعال التي تُعبّر عن أطماع المرسل في المرسل إليه، وذلك في بعض الأشياء التي يمتلكها، وعليه يكون المرسل إليه بين خيارين إما: حمايتها والتمسك بها أو منحها والتخلي عنها إلى المرسل ومنها: المدح، تعبيرات العواطف السالبة ..."[1] نستنتج بأن الأفعال التي تهدد الوجه الدافع، هي أفعال تترك للمرسل إليه الحرية في اختيار اتخاذ القرار الذي يناسبه، أما الأفعال التي تهدد الوجه الجالب للمرسل فهي تدل في معظمها على عدم اكتراث المرسل بمشاعره، أي التحلي بالموضوعية والصدق، ومنها مايلي :

"- التقييمات السلبية لبعض أفعاله، مثل: تعبيرات الاستهجان، النقد البناء القائم على الموضوعية، المعارضة، وعلى هذا الأساس يصرح المرسل بطريقة غير مباشرة عن عدم احترامه لبعض رغبات المرسل إليه.

- عدم أخذ المرسل بعين الاعتبار الوجه الجالب للمرسل إليه كونه لا يراعي كينونة الشخص وقيمته ومن بين الأفعال التي تعبر عن عدم اكتراث المرسل ، مايلي :التلفظ ببعض الموضوعات المستهجنة أمامه، أو إعلامه بأخبار غير سارة ...الخ " المرسل: تنقسم الأفعال التي تُهدّد وجه المرسل إلى قسمين : أفعال تهدد وجهه الدافع : وهي الأفعال التي تصدر من

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب:مقربة تداولية لغوية، ص103 و104 .

المرسل إليه والتي تتمثل في التعبير عن الشكر ، قبول شكر المرسل إليه أو اعتذاراته ، وقبول عرضه كذلك .

أما الأفعال التي تهدد وجه المرسِل الجالب مباشرة ، فهي الأفعال التالية : الاعتذارات، قبول المدح ، الندم، الإقرار بالذنب ."[1]

3/ مبدأ التأدب الأقصى :

من الملاحظ أن هناك اختلاف بين مبدأ التواجه الذي جاء به كل من "براون وليفنسون " و "مبدأ التأدب الأقصى الذي عده "جورج ليتش (G-Leech) في كتابه "مبادئ التداوليات ""[2] ويظهر هذا الاختلاف جليا في كون أن ليتش صَوب اهتمامه على الذات باعتبارها المحور الرئيسي الذي يَسير نَحوه الخطاب، وعليه :"ينطلق ليتش من مبدأ التعاون، ناقدا ومستدركا، فيقر بأهميته بوصف التعاون هو الأساس المفترض لتوجيه طرفي الخطاب؛ لأنّه الرابط بين قصد المرسل في خطابه ومعنى الملفوظ الدلالي. أما قصوره فيكمن في انحسار دوره على تنظيم التواصل، والوقوف عند المستوى التبليغي للخطاب ."[3] ومنه فالنقطة الرئيسية التي أدت إلى ظهور مبدأ التأدب الأقصى هي دّقة تأمل ليتش في مبدأ التعاون هذا الذي جعله شديد التعمق والتركيز فيه، ومنه استنتج بأن هناك جانب لم يعطه ليتش حقه الذي يستحقه بالدراسة والتحليل ألا وهو :الجانب الاجتماعي والنفسي للتداول .

---

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب:مقاربة تداولية لغوية، ص104 و 105 .

[2]- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص121.

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص109 .

وعلى هذا الأساس أراد ليتش دمج مبدأ التأدب الأقصى إلى مبدأ التعاون ومسايرته في عملية التخاطب، "لأن التأدب لا يقف عند تنظيم العلاقات فحسب بل يتجاوز إلى تأسيس الصداقات، مما جعله هو أساس التعاون، لئلا تنقطع عرى التواصل بين الناس ، مما يصعب معها إعادتها."[1]

تفرع عن مبدأ التأدب الأقصى ست قواعد جاء ترتيبها كالأتي:

- **قاعدة اللباقة، وصورتاها هما:"**

قلّل تكلفة الغير.

أكْثر ربح الغير.

- **قاعدة السخاء، وصورتاها هما:**

قلّل ربح الذات.

أَكثِر خسارةَ الذات .

- **قاعدة الاستحسان، وصورتاها هما :**

قلّل من ذّم الغير .

أكثِرْ من مدح الغير

- **قاعدة التواضع، وصورتاها هما :**

قلّل من مدح الذات .

أكثرْ من ذم الذات .

- **قاعدة الموافقة، وصورتاها هما:**

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب:مقاربة تداولية لغوية، ص 110 .

قلّل الاختلاف بين الذات وبين الغير .

أَكثِرْ من موافقة الذات مع الغير .

- **قاعدة التجانس ، وصورتاها هما :**

قلّل كراهية الذات مع الغير .

أَكثِرْ من انسجام الذات مع الغير"[1]

تعد قاعدة اللباقة قاعدة أساسية، لاتختلف كثيرا عن القواعد التي تتكامل معها، باعتبار أن كل من : السخاء والاستحسان والموافقة والتجانس قواعد تدخل ضمن اللباقة، وهذه الأخيرة تشترط من المتكلم (المرسل) الالتفات إلى الغير من دون التقصير في الذات خلال إنجازه للخطاب ."بما أن التأدب معيار مشترك بين طرفي الخطاب في لحظة التلفظ، فإنه ذو وجهين متباينين..."[2]

وعليه يقوم التّأدب على علاقة عكسية متناقضة، فإن تأدب المرسل مع غيره سيكون من الضروري عدم التأدب مع ذاته والعكس صحيح ، وهذا ماجعل من وجود القواعد الفرعية سبب في تفسير وتوضيح التناقض بين المرسل والمُخاطَب، هذا ما ينعكس على المرسل بأن يتلفظ بتعابير غير مباشرة من أجل ضمان استمرارية التعاون؛ لذا وجب التّقيد وعدم الخروج عن قاعدة اللباقة التي تُساهم بشكل مباشر في حل نزاعات قد تعيق استمرار العملية التّواصلية، وفي هذا الصدد نجد بأن هناك مؤيدون لفكرة ليتش وهما الباحثان :"باخ وهارنيش (Bach & Haenish) اللذان أصرا

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب:مقاربة تداولية لغوية، ص 112.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

على ضرورة الاستعانة بمبدأ التأدب الأقصى وإضافته إلى قاعدة العلاقة التي تندرج ضمن مبدأ التعاون عند غرايس "[1]

وعليه تتجسد قاعدة اللباقة في المثال الأتي "مدني بمال "الذي تتبني تحته أمثلة تتضمن تعابير غير مباشرة تتعلق بدرجات تتفاوت فيما بينها لتصل إلى قمة اللباقة :

-"مدني بمال ⟵ تدل على المعنى المباشر للأمر (خالي من اللباقة)

- أريد أن تمدني بمال ⟵ انتقال من الجملة الأمرية إلى الجملة الخبرية (يدل على نسبة معتبرة من اللباقة .

- هل تستطيع أن تمدني بمال ⟵ أسلوب استفهام (وهو أعلى درجة من الثاني لباقة).

- ليتك تمدني بمال ⟵ أسلوب تمني (وهو أكثر الجمل لباقة)."[2]

[1]- ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب:مقاربة تداولية لغوية ، ص 113 .

[2]- ينظر : طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 247 .

الفصل الثانـي

قواعد التخاطب في بعض مقالات "عبد الحميد ابن باديس"

المبحث الأول: تعريف المقالة، أنواعها، خصائصها عند "عبد الحميد ابن باديس"

المبحث الثاني: استخراج قواعد التخاطب "مبدأ التعاون" والحكم المتفرعة عنه

- حكم الكم.
- حكم النوع (الصدق).
- حكمة المناسبة.
- حكم الكيف.

ظاهرة الاستلزام التخاطبي:

- خرق حكم الكم.
- خرق حكم النوع (الصدق).
- خرق حكمة المناسبة.
- خرق حكم الكيف.

المبحث الثالث: استخراج القواعد التخاطبية المكملة لمبدأ التعاون

- مبدأ التأدب.
- مبدأ التواجه.
- مبدأ التأدب الأقصى.

المبحث الأول : تعريف المقالة أنواعها وخصائصها .

أولا : تعريف المقالة :

عُرفت المقالة منذ القديم عند العرب، حيث كانت على شكل رسائل علمية وأدبية، وذلك عند بعض الأدباء من أمثال: الجاحظ وابن المقفع والسيوطي واستعملت بكثرة عند الغرب، ومنه انحدرت إلى الأدب العربي وخاصة في العصر الحديث. ومن بين التعريفات التي حَظيت بها المقالة نجد على سبيل المثال تعريف ادموند جوس الذي اعتبرها "... فن من فنون الأدب، هي قطعة إنشائية ذات طول معتدل تُكتب نثرا، تُلم بالمظاهر الخارجية للموضوع بطريقة سهلة وسريعة، ولا تُعنى إلا بالناحية التي تَمس الكاتب عن قُرب."[1] لذا عُدت المقالة لون من ألوان التعبير النّثري، تستمد مواضيعها من الواقع المعيش، ومنه يأتي دور الكاتب في تجسيد ما يدور في الواقع من قضايا مختلفة بطريقة سهلة وموضوعية .

ثانيا : أنواع المقالات التي تميز بها الكاتب عبد الحميد بن باديس :

اختص ابن باديس بأنواع محددة من المقالات، حيث ركز على المقالة الموضوعية والتي تُعرف بأنّها " التي ينحى فيها الكاتب ذاتيته – قليلا - ويقدم على الموضوع الذي يريد التحدث عنه وعرضه بوضوح، مستعينا على ذلك باستخدام الأسلوب العلمي في جوانب الموضوع ..."[2] باعتبارها هي الأقرب في التعبير عن قضايا الأمة وما يندرج تحتها.

---

[1]- محمد يوسف نجم، فن المقالة، دار الثقافة، ط4 ، بيروت، لبنان، 1966م ص 94 .

[2]- عبد الرحمن عبد الحميد علي، معالم المقال الأدبي والصحفي، دار الكتاب الحديث، دط 2008 م، ص 82 .

1/المقالة العلمية الدينية :

يختص هذا النوع من المقالات في معالجة الموضوعات عن طريق الاستناد إلى العقل والدين في كتابة المقال، لذا يغلب على هذا النوع من المقالات طابعين هما: "علمية لأن النّظر فيها إلى الموضوع يستند إلى العقل والمنطق ...ودينية في الوقت ذاته لأنّها تقوم بتحليل موضوعات دينية."[1]

2/ المقالة الإصلاحية :

تُعد من أهم أنواع المقالات التي تَميز بها عبد الحميد بن باديس، باعتبارها كانت عاملا قويا ودافعا محفزا في عمله الإصلاحي، هدفها :"تصحيح انحرافات بعض المبتدعين في الدين ... والرد على بعض المستشرقين ودحض أباطيلهم ."[2]

ومن نماذج المقالة الإصلاحية، نذكر على سبيل المثال:« الإصلاح أمس واليوم »، « بعد مؤتمر الطرقيين أتزوير وتدليس ؟».

ومما نلحظه في المقالة الإصلاحية أنها تنقسم إلى نوعين:

- نوع يختص بالإصلاح بصفة عامة في جميع المجالات .

---

[1]- ينظر: محمد بن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2014، ج2، ص113.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

- ونوع ثان يختص بمحاربة كل من يسيئ إلى الإسلام، لذا نجده يخصص مقالات للردِّ على هؤلاء، نذكر من بينهم "أشيل الذي كان من أشد الفرنسيين افتراء وحقدا على الإسلام وكتابه القرآن الكريم ومقاله (صلاة وصلاة) ومقاله حول المؤتمر الافخارستي ."[1]

ومن هنا يتبين لنا بأن المقالة الإصلاحية جاءت كرد فعل وسلاح توجه إليه عبد الحميد بن باديس لدحض افتراءات وأكاذيب المستعمر تُجاه الدين الإسلامي وعقائده، كما كان يهدف إلى إصلاح نفوس الشعب الجزائري وتوعيته بدينه الإسلامي وحثه على المبادئ الدينية والأخلاقية والعلمية التي يجب أن يتحلى بها من أجل الارتقاء والمحافظة على أهم القيم النبيلة وكذا العادات والتقاليد التي تميز الشعب الجزائري عن بقية الشعوب الأخرى.

3/ المقالة الاجتماعية:

تطرق عبد الحميد بن باديس في هذا النوع من المقالة إلى مختلف قضايا مجتمعه الذي كان يعيشها آنذاك، محاولا من خلاله النهوض به والإمساك بيده نحو الخُطى الصحيحة الذي يجب أن يَسير نحوها، "داعيا أفراد أمته إلى التمسك بأصول دينهم والمحافظة على مقومات شخصيتهم والتحلي بأهداب الفضيلة والأخذ بأسباب العلم والعمل والإقبال على الحياة والحرص على دعم أواصر الأخوة والوحدة، ونبذ أسباب النزاع والفُرقة وما إلى ذلك من الثغرات الجهوية والحزازات المذهبية ." [2] ومن بين الموضوعات الاجتماعية التي عالجها الكاتب في شكلها المقالي المُمنهج، نذكر على سبيل المثال ما يلي :

« صلاح التعليم أساس الإصلاح »، « التعليم العربي »، « في سبيل التعليم والتقدم »

---

[1]- محمد بن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ص113.

[2]- المرجع نفسه، ص 114.

4/ المقالة السياسية :

يعد الوضع السياسي المنبع الرئيسي الذي كان يستقي منه عبد الحميد بن باديس جل موضوعات مقالاته. ومن هنا يمكن الإشارة بأنّ المقالة السياسية عند عبد الحميد بن باديس قد مرّت بمرحلتين.

"المرحلة الأولى: وتبدأ ببداية العمل السياسي للكاتب بمطلع العشرينات وتنتهي في أعقاب المؤتمر الإسلامي سنة 1936، وتدور جميع المقالات في هذه المرحلة حول محورين هما:

- التّأكيد على تمسك الشعب الجزائري بمقوماته الوطنية (الدين، اللغة، الوطن).
- التذكير بحقوق الشعب الجزائري المسلوبة من طرف المستعمر .

المرحلة الثانية: وتبدأ في أعماق المؤتمر الإسلامي سنة 1936 وتنتهي بوفاة الكاتب سنة 1940. ومما يميز هذه المرحلة هو تغيير أسلوب تعامل عبد الحميد بن باديس مع المستعمر ،حيث عُرف نشاطه السياسي في هذه الفترة :

- انقلاب كبير على مستوى التصور الفكري .
- التحلي بالجرأة على صعيد السلوك العملي ."[1]

من خلال هاتين النقطتين نلاحظ بأن الموضوعات التي عُولجت بعمق في المرحلة الأولى نفسها التي عُولجت في هذه المرحلة ،أما نقطة الفصل بين هاتين المرحلتين تمثلت في تغيير الأسلوب، حيث اتجه إلى أسلوب صريح ندّد من خلاله بالحقوق التي من حق الشعب الجزائري .

[1]- ينظر: محمد بن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ص 117 و 118 .

ومن بين المقالات السياسية التي كتّبها وعالجها عبد الحميد بن باديس، نذكر على سبيل المثال: « كلمة صريحة »، « حول كلمتنا الصريحة »،« حقوق الأُمة الجزائرية التي تطلبها من الأمة الفرنسية »...

ثالثا: خصائص فن المقالة عند عبد الحميد بن باديس :

يتكون فن المقال من عناصر ثلاثة هي: المادّة، الخطة، الأسلوب.

1 /**المادّة** :هي مختلف الموضوعات المتناولة من قبل الكاتب المستمدة من الواقع المعاش في ظّل الاستعمار الفرنسي حيث تناول عبد الحميد بن باديس مجموعة من المقالات تنوعت موضوعاتها إلى: سياسية، إصلاحية، اجتماعية، دينية .

2 /**الخطة**: تنقسم بنية المقالة حسب النقاد إلى ثلاثة أقسام :المقدمة ،العرض ،الخاتمة وتُعتمد هذه الخطة في جميع المقالات بشتى أنواعها وخاصة الموضوعية منها.

المقدمة: تعد المقدمة عنصراً أولياً تبتدئ به جل المقالات، وعليه يغلب على عنصر المقدمة في معظم مقالات الكاتب القصد، فجاءت لذلك قصيرة مركزة شديدة الصلة بالعرض ممهدة لما يتصل به من أفكار، وما يتخلله من مشاعر .

العرض: نلاحظ بأن عبد الحميد بن باديس اعتمد في جل مقالاته على العرض المنطقي للأفكار حيث اتجه إلى الصرامة في البناء ودقة في التصميم وحسن التنظيم، فجاءت بذلك على قدر من التماسك والترابط بين أجزائها،حيث تتميز مقالاته بوحدة العرض .

الخاتمة: تُورد الخاتمة في نهاية المقالة، حيث تتميز عند عبد الحميد بن باديس بأنها دعائية موجزة ملخصة للمعاني المطروحة في صلب الموضوع ، ملوحة بالأهداف المتوخاة منه .

الأسلوب: نجد للأسلوب سمات عامة تشترك فيها جميع أنواع المقالات، وهناك سمات خاصة تنفرد بها كل مقالة عن أخرى.

- **من السمات العامة نذكر مايلي :**

- صغر الحجم
- وحدة الموضوع
- دقة التصميم وقصر المقدمات
- موضوعية التحليل ووضوح الأفكار
- القصد في التعبير والبعد عن الخيال (عدم توظيف الصور البيانية: كالاستعارة والمجاز والكناية وغيرها، والابتعاد عن الصنعة اللفظية: كالسجع والجناس وغيرها من المحسنات البديعية)"[1]

السمات الخاصة التي تنفرد بها مقالة عن أخرى نذكر:

1/ خصائص المقالة العلمية الدينية :

"- الدّقة ووضوح التعبير

- الاستدلال بالقرآن الكريم والحديث النّبوي الشريف.

- توظيف المصطلحات العلمية الدّقيقة والابتعاد عن الذاتية.

- توظيف الحجج والبراهين من أجل الإقناع .

2/خصائص المقالة الإصلاحية :

- الاعتماد على المنهج القرآني .

---

[1]- ينظر : محمد بن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ص 124 إلى 126 .

- الاعتماد على الأسلوب اللين والابتعاد عن التعصب والتّشدّد.
- انتقاء الألفاظ الموحية من أجل التأثير في المتلقي، وإقناعه بالحجج والبراهين.
- السهولة في الأسلوب ووضوحه .

3/ خصائص المقالة الاجتماعية :

- البساطة والسهولة والوضوح.
- سلامة الحجّة.
- البعد عن الخيال المجنح والعواطف المتأججة والزخرف اللفظي .
- التحلي بالموضوعية ."[1]

4/ خصائص المقالة السياسية :

- "وضوح الأفكار وبساطة المعاني.
- السهولة في الأسلوب .
- الاعتماد على الأدلة الخطابية .
- صدق الانفعال وحرارة العاطفة ونبض الوجدان ."[2]

رابعا : الحركة الإصلاحية في الجزائر.

تعد الحركة الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي حديثة النشأة، بحيث كان للاستعمار تأثير كبير على تأسيس هذه الحركة الإصلاحية، التي ترفض كل أنواع الاستبداد وتهدف إلى التغيير والتجديد متخذة في ذلك القرآن كمصدر تستمد منه مبادءها.

---

[1]- ينظر: محمد بن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس ، ص 113 إلى 115 .

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 123 .

ترجع جذور هذه الحركة إلى الشيح ابن تيمية حيث كان أول من بادر إلى فكرة الإصلاح، ثم تلاه كل من جمال الدين الأفغاني الذي اتجه نحو الإصلاح السياسي، ثم جاء بعده محمد عبده الذي كان توجهه نحو التربية والتعليم والإصلاح الديني.

1/ العوامل التي ساعدت على نشأة الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر:

تنقسم العوامل المساعدة على نشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر إلى قسمين هما:

القسم الأول: يختص هذا القسم بالعوامل الداخلية التي تتمثل في النقاط التّالية:

"- محاولة الاستعمار الفرنسي القضاء على الثقافة الإسلامية في الجزائر .

- نشاط الحركات التبشيرية التي كانت تهدف إلى تنصير أبناء وبنات الجزائر من طرف المستعمر.

- تطبيق سياسة الفرنسة والتجنيس على الجزائريين .

- انحراف معظم الطرق الصوفية في الجزائر عن جادة الإسلام وتعاونهم مع الإدارة الاستعمارية ضد مصالح بلادهم .

- تأثير دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي اتجه نحو التعليم وعُدّ هذا الأخير السلاح والانطلاقة الحقيقية في الدعوة إلى الإصلاح ومحاربة كل أشكال الفساد التي كانت سائدة آنذاك.

- **القسم الثاني** : يختص بالعوامل الخارجية التي تشتمل بدورها على عوامل إسلامية وأخرى عالمية، يمكن إجمالها في النقاط التالية :

- دعوة كل من محمد عبده وجمال الدين الأفغاني للإصلاح، وذلك عن طريق مجموعة من المجلات والجرائد كمجلة «العروة الوثقي» و«مجلة المنار» و«جريدة المؤيد ».

- عودة مجموعة من الجزائريين الذين كانوا يتلقون العلم في الحجاز ومصر وتونس أمثال:البشير الإبراهيمي والعربي التبسي وغيرهم، الذي كان لهم دور في توعية الشعب ومد يد العون لدعاة الإصلاح.
- استيعاب الشعب الجزائري نية المستعمر الفرنسي، وظهور حقيقة الطُرقية التي كانت تسعى إلى تشويه هوية الشعب الجزائري، كل ذلك ساعد على تبلور الفكر الإصلاحي لدى الجزائريين ونمت إرادة التّغيير عندهم."[1]

[1]- ينظر : تركي رابح عمامرة ، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، منشورات ANEP، ط5، 2001 م، ص 198 و199 .

المبحث الثاني : مبدأ التعاون والحكم المتفرعة عنه .

أولا: مقالة « الإصلاح أمس واليوم » .

1/ قواعد المحادثة :

تصنف هذه المقالة ضمن المقالات الإصلاحية، لأنّها تهدف إلى تبيين الفرق بين الإصلاح في الماضي والحاضر، فعمد كاتب المقالة إلى استخدام وتوظيف قواعد التخاطب، والتي نذكر منها مايلي :

مبدأ التعاون:

باعتباره مبدأ يُساعد كل من المتكلم على توصيل أفكاره إلى المخاطَب بصورة واضحة ودقيقة، لذا نجد عبد الحميد بن باديس قد كان احترامه وتقيده بالحكم واضحا، بحيث لم يتم خرق بعض الحكم التي تقوم عليها المحادثة في بعض الأحيان.

- **حكم الكم :**

تتجلى هذه الحكمة بعبارة صريحة عندما قال عبد الحميد بن باديس "أول من نادى بالإصلاح الديني علما وعملا نداء سمعه العالم الإسلامي كله في عصرنا هذا هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وأول من قام بخدمته بنشرة إسلامية عالمية هو تلميذه حجة الإسلام السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ."[1]

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، ط1، الجزائر،1968م،ج 1، مج 2، ص 66 .

- **حكم النوع (الصدق):**

تحققت هذه الحكمة التي ترمي إلى أن يكون المتكلم متأكدًا من المعلومات التي يقدمها، وهذا ماحرصَ عليه عبد الحميد بن باديس في مقاله هذا، فكان في كل مرّة يُقدم حجة وبرهان لما كان يقوله وهذا ماتوضحه عبارة :"...نداء سمعه العالم الإسلامي كلّه ..."[1] يعتبر هذا كدليل يُثبت أنّ محمد عبده أول من نادى بالإصلاح الديني.

- **حكمة العلاقة (المناسبة) :**

كانت متحققة هي أيضا في هذه المقالة، باعتبار أن عبد الحميد بن باديس تناول موضوعًا واحداً ألا وهو :"الإصلاح أمس واليوم ".بحيث تحدث في مقدمة مقاله عن جذور الإصلاح الدّيني، ثم انتقل إلى العرض وفصل في موضوعه حول الدعوة الإصلاحية ومكانها الذي نَشأت فيها والأسباب التي دعت إلى ظهور هذه الدعوة، وواصل في شرحه وتعقيبه إلى أن ذاع صيت هذه الحركة وبدأت في الانتشار بداية بالزيتونة بتونس والقرويون بفاس، إلى أن وصلت إلى الجزائر وتأسست بذلك جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصبحت دعوة إصلاحية. أما في خاتمة مقاله فتوصل إلى أنّ هذه الدّعوة الإصلاحية لاقت رواجًا كبيرًا، وذلك من خلال إزالتها للبدع والضّلالات والأوهام كل هذا بفضل اللّه سبحانه وتعالى ."[2] يتضح من خلال تلخيصنا لأهم العناصر التي اشتمل عليها المقال بأنّ عبد الحميد بن باديس لم يخرج عن حكمة العلاقة (المناسبة) التي تنص على عدم الخروج عن الموضوع الذي هو بصدد التطرق إليه، وكذا عدم الخروج عن أفكاره الأساسية والانتقال إلى مواضيع أخرى ليس لها صلة بالموضوع الرئيسي .

---

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس، ج 1،مج ،2ص66.

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ج1،مج 2، ص 66 و 67 .

- **حكم الكيف:**

من حكم الكيف التي تحققت هي أيضا في هذه المقالة :

الابتعاد عن الإبهام في التعبير، حيث نلحظ في هذا المقال ابتعاد عبد الحميد بن باديس عن التعابير الصعبة واستخدام تعابير سهلة متداولة متعارف عليها بين جميع فئات المجتمع ،لأن الهدف الذي كان يسعى إليه هو توعية وإصلاح ومحاربة كل أنواع البدع والضلالات التي كانت سائدة آنذاك، وذلك من خلال مقاله هذا الذي كان موجهاً وبدرجة كبيرة إلى جميع فئات المجتمع، ومنه نلحظ بأنّه ابتعد عن كل إبهام قد يعرقل بشكل من الأشكال وصول خطابه على أكمل وجه .لذا يتبين لنا من خلال هذه الأمثلة أن تعابيره كانت دقيقة واضحة :

" من عدل الله وحكمته أن كان مبعث هذه الدعوة الإصلاحية هي مصر .

جاءت هذه الدعوة الإصلاحية ومصر والعالم الإسلامي على تلك الحال فاصطدمت بقوّة ماكانت تثبت لها لولا قوّة الحق والإيمان ."[1]

من حكم الكيف التي كان لها نصيب في هذه المقالة

الإيجاز: حيث جاءت المقالة قصيرة تطرق محررها إلى أهم الأفكار التي يجب عليه أن يَسردَها لنا وترك الأفكار الثانوية التي قد تؤدي به إلى إطناب غير مفيد .

أما عن التنظيم فكان حاضرا هو أيضا، وذلك من خلال الترتيب المنطقي للأفكار وتسلسلها، والدليل على ذلك المنهجية التي اتبعها في كتابة مقالته.

[1]- عمار الطالبي ، آثار ابن باديس ، ص 66 و 67 .

2/ الاستلزام التخاطبي (الحواري) :

ينتج الاستلزام التخاطبي (الحواري)عندما يخرق المتكلم إحدى حكم المحادثة التي تتفرع عن مبدأ التعاون، مع وجوب الإبقاء على المبدأ العام التعاوني.

- **خرق حكم الكم :**

تجسد هذا الخرق في مقالة عبد الحميد بن باديس "الإصلاح أمس واليوم " عندما قال "أول من نادى بالإصلاح الديني علما وعملا نداء سمعه العالم الإسلامي كلّه في عصرنا هذا هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ."[1] وهنا يمكننا القول بأن عبد الحميد بن باديس أعطى معلومة أكثر من المعلومة المطلوبة ، فكان بإمكانه القول ببساطة : أول من نادى بالإصلاح الديني محمد عبده .

- **خرق حكم النوع (الصدق)** :

تم خرق هذه الحكمة من خلال عدم تأكد المتكلم من المعلومة التي سردها على المخاطَب، تظهر في قوله:" مضى ثلث قرن أو يزيد .."[2]

لم يتم خرق حكمة العلاقة أو المناسبة لأنه لم يخرج في مقالته هذه عن إطار الحديث عن الإصلاح، حيث لاحظنا بأنّه كان شديد الصلة بالموضوع .

---

[1] - عمار الطالبي، آثار ابن باديس،ج1، مج2، ص66 .

[2]- المصدر نفسه، ص 67 .

- **خرق حكم الكيف :**

تم خرق هذه الحكمة بحيث لم يصرح عبد الحميد بن باديس عن أسماء الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين ،حيث قال "فكان من علمائها الأحرار المستقلين."[1] فهنا نلاحظ بأن هناك إبهام ولبس في التعبير، حيث كان بإمكانه ذكر على سبيل المثال أسماء مؤسسي الجمعية.

نستنتج أن خرق هذه الحكم من قبل عبد الحميد بن باديس من خلال مقالته "الإصلاح أمس واليوم" كان متعمدا، فمثلا السبب الذي جعله يخرق مبدأ الكم هو رغبته في إعطاء معلومات أكثر لكي تكون أكثر وضوحا في ذهن المتلقين .

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس،ج1،مج2، ص66 .

المبحث الثالث : المبادئ التخاطبية المكملة لمبدأ التعاون .

أولا: مبدأ التأدب

1/ قاعدة التعفف :

نلاحظ من خلال هذا المقال أن ابن باديس بقي متحفظا ولم يفرض نفسه على المخاطَب، فهو كان مجرد ناقل لأخبار صَحت حقيقتها والدّليل على ذلك أن انتشار البدع والضلالات لم يبق في مصر وإنّما انتشر كذلك في بعض بلدان الشمال الإفريقي كتونس والجزائر، ومنه لا يمكننا القول بأن ابن باديس كان هدفه التطفل على شؤون الآخرين وإنّما كان عليه القيام بهذا الدور باعتباره مصلحا وداعيا إلى نبذ كل ما يُخالفُ الشريعة الإسلامية، لأن قضية الإصلاح وانتشار البدع ليست قضية بلد واحد وإنّما هي قضية تَضمّ جميع بلدان العالم الإسلامي .

2/ قاعدة التخيير :

اعتمد الكاتب أسلوب التخيير القائم على الاستفهام، حيث يترك من خلاله للمتلقي حرية الاختيار، ومنه يظهر الاستفهام جليا في هذه الجملة :"وكيف يكون حال العالم الإسلامي ومراكزه العلمية الدينية في ذلك الضلال المبين ؟"[1]

3/ قاعدة التودد:

يظهر الوِّد في خطاب ابن باديس للمخاطَب (المرسل إليه) من خلال استعمال عدّة تعابير وألفاظ تجعل من الكاتب بمثابة صديق للمخاطَب، ومن بين الدلالات التي تشير إلى تجسيد هذه القاعدة استخدام الاسم والكنية واللقب، وذلك في قوله :

---

[1]- عمار الطالبي، آثار إبن باديس،ج1، مج2، ص 66 .

" الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده "[1] وكذلك في قوله عن رشيد رضا :"تلميذه حجة الإسلام السيد محمد رشيد رضا. "[2] استعمال بعض الأساليب والصيغ التي تقوي علاقات التضامن والصداقة مثل ما جاء في هذه العبارة :" رحمهما الله وجزاهما عن الإسلام والمسلمين خيرا ماجازى به المجددين لهذا الدين ."[3]

ثانيا: مبدأ التواجه .

- **قيمة الوجه الاجتماعية** : طبق ابن باديس في مقالته "الإصلاح أمس واليوم " قيمة الوجه الاجتماعية التي تُوجبُ على المتكلم (المرسل) أنْ يصُون وجه غيره، وهذا ما نجده عند ابن باديس حيث تحدث عن مصر أنّها أكثر البدع والضلالات، وفي نفس الوقت صان وجهها من خلال حديثه عنها في كونها مبعث الدعوة الإصلاحية. نلحظ هذا من خلال قوله :"ومن عدل الله وحكمته أن كان مبعث هذه الدعوة الإصلاحية هو مصر. مصر التي هي مبعث أكثر البدع والضلالات الاعتقادية والعلمية ."[4]

1/الوجه الدافع : وهو رغبة الإنسان في ألاّ يعترض الآخرون على أفعاله ، يهدف هذا النوع إلى أن يدافع الإنسان على مايقوم به سواء أكان فعلا أم قولا، وهذا ما نلحظه من خلال هذه

---

[1]- عمار الطالبي ، آثار ابن باديس،ج1، مج2، ص 66 .

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[4]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

الجملة:"جاءت الدعوة الإصلاحية ومصر والعالم الإسلامي على تلك الحال فاصطدمت بقوة ما كانت تثبت لولا قوة الحق والإيمان ."[1]

2/ الوجه الجالب : يرمي هذا الوجه إلى جلب انتباه الطرف الأخر، وذلك من خلال رسم صورة إيجابية عن ذات الشخص الذي تفرض عليه الاحترام والتقدير، وهذا نلحظه عندما تحدث عبد الحميد بن باديس عن جمعية العلماء المسلمين الذي يعدّ رئيسا لها، وذلك من خلال قوله :" ثابتة الأركان مشيدة البنيان باسقة الأفنان دانية الثمار وارفة الظلال ."[2]

ثالثا : مبدأ التأدب الأقصى .

تجسد مبدأ التأدب الأقصى في هذه المقالة من خلال معالجة عبد الحميد بن باديس قضية الإصلاح الديني بكل تأدب وروية، فلم يكن يتعصب ولم يلُم من كان سبباً في ذلك، وعليه طغت على هذه المقالة في سرد الأخبار والحقائق من دون تكلف ومعاتبة الغير .

1/ قاعدة اللباقة :

تجسدت صورة من صور هذه القاعدة وهي الإكثار من ربح الغير، حيث تجلت هذه الصورة عندما أقر عبد الحميد بن باديس أنّ مبعث الدعوة الإصلاحية هي مصر، كما أن مبعث البدع والضلالات هي أيضا مصر، فتجسدت هذه الصورة عندما قال :"من عدل الله وحكمته ..."[3] ومن هنا يمكننا القول بأن عبد الحميد بن باديس لم يَشأ أن ينفُر المتلقين من مقاله .

---

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس،ج1، مج2، ص67 .

[2]- المصدر نفسه، صفحة نفسها.

[3]- المصدر نفسه، ص 66.

2/ قاعدة السخاء:

تحققت صورة من هذه القاعدة وهي الصورة التي ترمي إلى تقليل المتكلم من ربح ذاته، لأنّه وفي كل مرّة كان يتحدث باسم الجماعة التي كان يتمثلها. أما الصورة التي ترمي بأن يُكثر المتكلم من خسارة ذاته لم تتحقق.

3/ قاعدة الاستحسان:

تجسدت هذه القاعدة بصورتاها لأن عبد الحميد بن باديس لم يقُم بذم غير كما أنّه لم يمدحها إلا في مواقف نذكر منها :"وكنا على يقين أن الله سيزيل هذه الشبهة، ويزيح هذه المحنة ويؤيد العلماء المصلحين في الأزهر. أصبح الأزهر اليوم يُؤلف من رجاله الرسميين، لجانا للقيام بالإصلاح الديني علما وعملا ."[1]

4/ قاعدة التواضع :

كان عبد الحميد بن باديس متواضعا من خلال تجسيده لصورة قاعدة التواضع التي تنص على تقليل مدح الذات، وهذا ما لحظناه في مقالته عندما كان يمدح الجماعة التي كان منخرط فيها،وهي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

ثانيا :مقالة « صلاح التعليم أساس الإصلاح »

تعدّ مقالة صلاح التعليم أساس الإصلاح من المقالات التّربوية التي تطرق ابن باديس إلى معالجة قضاياها ورأى أن التدهور الاجتماعي راجع إلى عدم تطبيق الإسلام وابتعاد الإنسان المسلم عن الحقيقة القرآنية. ويرى أن الوسيلة المثلى لتوجيه الذات الإنسانية هو العامل الأخلاقي التربوي

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس، ج1، مج2، ص 67.

وهو أساس الإصلاح .لذلك كتب مقالة تحت عنوان :"صلاح التعليم أساس الإصلاح " وكتب في هذه المقالة بأن العلماء هم القلب النابض للمسلمين والشريان المتدفق بكل مايحمله من معارف، وعلوم تُنير عقل كل مسلم تاه الطريق، أو زاغ بصره عن نور الله أو تغمم عقله بغيوم الفكرة الثابتة والعقائد والبدع المبتدعة من أعداء الإسلام والمسلمين. وعلى هذا الأساس نجد ابن باديس يُخاطب قارئَه بتدرج في سرد الأخبار حتى يصل إلى لب الموضوع؛ بدءً بأن صلاح المسلمين لا يكون له قائمة إلا بصلاح العلماء، وأن صلاح العلماء لا يكون إلا بصلاح التعليم، ولا يتم هذا الأخير إلا بالرجوع إلى التعليم النّبوي، فيخاطب الكاتب قراءه بكل فطنة وإستراتيجية محكمة في توصيل ما يصبو إليه في عرض أفكاره على شكل سلسلة مترابطة كل حلقة تكمل الأخرى للوصول إلى تبصير العقول وتنيريها .

"وقد أخذ موضوع إصلاح التعليم وطرائق التدريس نصيباً كبيراً في مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1935م، حيث تناول الحاضرون فيه مشكلات التعليم وانشغالات أهله عبر كافة أنحاء القطر، كما درس هذا الموضوع في المؤتمر المُنعقد بنادي الترقي العام 1937م الذي شارك فيه رجالات التعليم بالمدارس العربية الحرة ."[1] وعلى هذا الأساس نجد ابن باديس في ثورته الإصلاحية وخاصة إصلاح التعليم وطرائق التدريس، والمدرسة الجزائرية بصفة عامة في ظل الاستعمار الغاشم ومحاربة الطرقية وكل ما كان سائدا من أفكار فرنساوية، ومعتقدات تهدِّد كيان وهوية الشعب الجزائري، بتطبيق مبادئه الإصلاحية القائمة على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، يقول في ذلك :"لن يصلح التعليم إلا إذا رجعنا به إلى التعليم النبوي في شكله وموضوعه

[1]- عيسى عمراني، المدرسة الباديسية ومناهجها الدراسية، تق : عبد العزيز خيلالي، دار الهدى، ب ط ، الجزائر ، ب ت، ص 168.

،في مادته وصورته فيما كان يعلم صلى الله عليه واله وسلم وفي صورة تعليمه ."[1] ،"فهناك منبعان رئيسيان لفلسفة الشيخ عبد الحميد بن باديس التربوية الأول: هو الدين الإسلامي بكل ميراثه الروحي – والثقافي – والحضاري – والأخلاقي .

الثاني : هو واقع المجتمع الجزائري (العربي المسلم) بكل مشاكله – وأمراضه – وتخلفه ..."[2] ويمكن أن نوضح بشكل معمق منهج أو فلسفة الكاتب بشكل أكثر وضوحاً بأنّها " فلسفة عملية تمزُج بين النّظرية والتطبيق ... يقرر النظرية ويتبعها في الحال بالتطبيق وهو يرى أن الخُلق القوِيم لابد أن يكون نتيجة تطابق الباطن مع الظاهر"[3] والاعتماد على التربية الأخلاقية استناداً إلى القرآن والسنّة وسير السلف الصالح. يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجلة الشهاب في بيان أهمية الأخلاق في بناء الأُمم وبنيان صرح الشعوب مايلي "إذا كانت الأُمم بالأخلاق – والأخلاق بالتربية – فالأمم بعلمائِها الذين يقومون بتربيتها ، وتهذيب أخلاقها ، وتوجيهها نحو الخير والكمال ."[4]

1/ قواعد المحادثة .

اعتمد ابن باديس في مقالاته على مخاطبة قرائه بمجموعة من القواعد التخاطبية من جانبها التداولي للوصول إلى القصد والغاية المتوخاة التي يرجوها الكاتب أن تصل إلى المتلقي، وفي إقامة التواصل الفعال المُؤدي إلى التبليغ والتوجيه، وحسن التقبل. فغاية التداولية هي التواصل الناجح بطرق متعددة ومحكومة بقواعد تساعد للوصول إلى مايقصده المتكلم في خطابه والتعاون الذي يُضفي إلى استمرار الحديث والمتابعة من كلى الطرفين .

---

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس،ج1 ،مج 2، ص 218 .

[2]- تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ص 409 .

[3]- المرجع نفسه، ص 410 و 411 .

[4]- عمار الطالبي آثار ابن باديس، ج 1،مج 2،ص 218 .

ومن الملاحظ أن ابن باديس في مقالته "صلاح التعليم أساس الإصلاح " قد استعمل قواعد التخاطب المعروفة لدى بول غرايس وغيرها من المبادئ الأخرى التي يمكن أن نوضحها كالأتي :

- **حكم الكم :**

اعتمد الكاتب في مقالته على قدرٍ وافٍ ومحدّد من المعلومات الكافية حتى يُوضح بشكل مفصل وصائب التعليم الصحيح المبني على أسس دينية وهذا ما نلحظه في الفقرة الأولى من مقالته ، فنلاحظه يشرح بتفصيل وقدر كبير من المعلومات عن العلاقة القائمة بين المسلمين والعلماء والتعليم ، ثم يستشهد بأحاديث نبوية وآيات قرآنية لإضافة الدليل والمعلومات الكافية .

- **حكم النوع (الصدق) :**

لتكن مساهمتك صادقة، وهذا مانجده عند الكاتب في تحليل هذه المقالة من كثرة الأدلة والحجج المتوفرة في قوله :"فقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه مسلم أنّه قال :"إنّما بُعثت معلما "، فماذا كان يعلم ؟ وكيف كان يعلم ؟

كان صلى الله عليه واله وسلم يعلمّ النّاس دينهم من الإيمان والإسلام والإحسان؛ كما قال صلى الله عليه واله وسلم في جبريل في الحديث المشهور :"هذا جبريل جاء ليعلمّ الناس دينهم " وكان يعلّمهم هذا الدين بتلاوة القرآن عليهم؛ كما قال تعالى (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القران)..."[1]، ويظهر صدقه اعتمادا على تأكيده لموضوع التعليم الديني عن طريق حُجج صادقة وواضحة مستمدة من القرآن والسُنّة .

- **حكمة العلاقة (المناسبة):**

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس،ج1،مج 2، ص 218 .

ترمي هذه الحكمة إلى أن يكون هناك تناسق وتناسب بين المقال والمقام وهذا ماكان واضحا في هذه المقالة، باعتبار أن ابن باديس لم يخرج عن موضوعه من بداية مقاله إلى نهايته، حيث ركز على إصلاح التعليم وفكرته الرئيسية التي يدور حولها الموضوع هي الرجوع إلى التعليم الديني النّبوي السّلفي والاقتداء به لنجاح التعليم التربوي .

- **حكم الكيف :**

يظهر الوضوح جليا من خلال أسلوب الكاتب الذي يمتاز بالسهولة والبساطة، عدم استخدام المحسنات والتكلف، والابتعاد عن الجمل الاعتراضية التي تؤدي إلى غموض في الفهم، ومثال ذلك قوله :"لن يصلح المسلمون حتى يصلح علمائهم ،فإنّما العلماء من الأمة بمثابة القلب ،إذا صلح صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كلّه ، وصلاح المسلمين إنّما هو بفقههم الإسلام وعملهم به ..."[1]

تجنب عبد الحميد بن باديس الإبهام في التعبير، حيث عمد على أن تكون عباراته صريحة ، وهو ما يثبته قوله :"قد ذكرنا في المقال السابق ما كان عليه التعليم الديني في عهد السلف الصالح، من التفقه في الدين بالتفقه في القرآن والأحاديث النبوية، وذكرنا الحالة التي انتهى إليها في عصرنا من هجر القرآن والسنة والاقتصار على الفروع العلمية المنتشرة دون استدلال ولا تعليل..."[2]

---

[1]- عمار الطالبي،آثار ابن باديس،ج1 ،مج 2، ص217 .

[2]- المصدر نفسه، ص220 .

تجلت الحكمة التي ترمي إلى الابتعاد عن اللبس من خلال استعمال مفردات صريحة وواضحة، مثل : المسلمين، العلماء، التعليم الديني، المتعلم، الفساد التعليمي، السلف الصالح، القرآن، السنة ...وغيرها من المفردات المستمدة كلها من القرآن والسنة .

أوجز : من خصائص ابن باديس في التعبير هو الاسترسال ، وهذا ما لاحظناه في هذه المقالة التي ابتعد فيها عن إطناب غير مفيد لأنّه تحدث عن إصلاح التعليم واستشهد بذلك بالأحاديث النبوية وآيات القرآن الكريم ، لأنه لم يُكرر أية فكرة أو الرجوع فيما سبق التكلم فيه وإنّما كان مسترسلا مختصرا .

اعتمد عبد الحميد بن باديس على التنظيم وهذا واضح في الطريقة التي كتب بها، حيث بدأ بالمقدمة التي جاءت شاملة لما احتواه الموضوع، ثم العرض حيث تم التفصيل بشكل وافٍ حول الفكرة التي أراد إيصالها، ثم جاءت الخاتمة عبارة عن توصيات للعمل بما جاء في هذه المقالة .

2/الاستلزام التخاطبي (الحواري) :

ينتج الاستلزام التخاطبي إذا خُرقت إحدى القواعد الغرايسية الأربع وسنوضح هذا الخرق على نحو ما جاء في هذه المقالة :

- **خرق مبدأ الكم :**

من الأساليب التي تعامل معها عبد الحميد بن باديس في خرق مبدأ الكم بالزيادة هو أسلوب التكرير، والقصد من ذلك هو التأكيد على فكرة الرجوع إلى مصدر التعليم ألا وهو: التعليم النبوي واتباع نهجه وطرائقه في المدارس الجزائرية للمحافظة على هوية الشعب الجزائري وأرضه من الاستعمار.

ويظهر هذا الخرق في بعض الجمل التي استعملها الكاتب في مقالته نوضحها كما يلي :عن عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى أبي موسى رضي الله عنه :"أما بعد ، فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية "[1] وردت لفظة (تفقهوا) في الحديث مرتين وهذا دليل على تكرار هذه الكلمة حيث يؤكد عمر رضي الله عنه بفعل الأمر بالتفقه في السنة وكذلك التفقه في العربية لذلك عمد ابن باديس على الاستشهاد بهذا الحديث تأكيدا على فكرته في إصلاح التعليم والتفقه في مسائل العلم والدين عن طريق الاستدلال والبراهين قبل الخوض فيها كما كان يفعل السلف الصالح والمعنى المستلزم كذلك يمكن أن نستنتجه من خلال اعتماده على هذا الحديث وقصده هو دعوة الشعب الجزائري إلى التمسك باللغة العربية وطرائق تدريسها في الجمع بين النظري والتطبيقي في التعليم النبوي مع وجوب تطبيق الأخلاق.

يقول عبد الحميد بن باديس:" هذا هو التعليم الديني السُني السلفي، فأين منه تعليمنا نحو اليوم وقبل اليوم منذ قرون وقرون ؟ "[2] نلاحظ أن الكاتب كرر لفظة اليوم مرتين ولفظ قرون مرتين كذلك، ويعمدُ ابن باديس إلى المقارنة بين التعليم الموجود عندنا والتعليم الديني النبوي السلفي وقصده هنا أننا لم نصل بعد في هدفنا وغايتنا إلى تطبيق التعليم الديني. هذا من جهة ومن جهة أخرى استعمل أسلوب التوكيد من خلال تكراره للفظتي اليوم وقرون ، لأنه يؤكد على إصلاح التعليم في الوقت الحاضر والمستقبل ويُصر على التعليم الديني النبوي السلفي باعتباره القاعدة والأصل.

---

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس،ج1، مج2 ، ص 218 .

[2]- المصدر نفسه، ص 219 .

لم نجد خرق لحكمة النوع في مقالة ابن باديس لأن مساهمته صادقة وذلك من خلال الحجج والبراهين الكافية التي اعتمدها في خطابه عن الإصلاح التعليمي ولم يترك أيّة فكرة دون تأييدها بالحجج والبراهين، حيث اعتمد على الأحاديث النبوية والآيات القرآنية في حديثه للمحتوى المناسب لتعليم والطريقة المنهجية في ذلك .

كما أنه لم يخرق حكمة العلاقة (المناسبة) لأن جميع عناصر مقاله كانت تخدم الفكرة العامة الذي يصب فيها موضوعه.

- **خرق حكم الكيف :**

نلاحظ أن ابن باديس خرق هذه القاعدة ولم يكن واضحا، وذلك من خلال قوله :"فماذا كان يعلم ؟ وكيف كان يعلم ؟ "[1]حيث لم يصرح بصريح العبارة أن الموضوع هو إصلاح التعليم وطرائق التدريس في الجزائر .

فماذا كان يعلم؟ والمعنى المستلزم هو المحتوى ، وكيف كان يعلم ؟ والمعنى المستلزم هو الطريقة .

ومضمون المحتوى والطريقة التي كان يهدف إلى الوصول إليها ابن باديس هو السير على خطى الدين الإسلامي والسنة النبوية الشريفة وسير السلف الصالح في تعليمهم .

كان الهدف من الاستلزام هو رغبة ابن باديس في عدم التصريح مباشرة ، لأنه كان يستهدف إصلاح التعليم وطرق تدريسه في الجزائر حتى يُوهم الاستعمار الفرنسي ويُضلله، وهو في نفس الوقت تنبيه للقارئ بالعودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في إصلاح التعليم .

---

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس،ج1 ،مج2، ص 217 .

أولا :مبدأ التأدب .

1/ قاعدة التعفف :

مقتضى قاعدة التعفف هو عدم تجاوز الحدود الشخصية التي قد تسيء للمخاطَب (المرسل إليه)، لذلك اعتمد الكاتب على انتقاء بعض الأساليب وترك أخرى ، بحيث لم يستعمل أفعال القلوب ولم يحمل مخاطبه على فعل ما يكره ، مثل الطلب المباشر .

2/ قاعدة التخيير :

تقتضي بأن يتجنّب المتكلّم أساليب التقرير ويأخذ بأساليب الاستفهام كما لو كان متشكّكا في مقاصده، بحيث يترك للمخاطَب حرية اتخاذ القرارات، وهذا ماجاء في قول ابن باديس: "هذا هو التعليم الديني السني السلفي فأين منه تعليمنا نحن اليوم وقبل اليوم منذ قرون وقرون؟، ومن أن يكون لنا هذا ونحن لم نسمع من شيوخنا يوما منزلة القرآن من تعلم الدين والتفقه فيه ولا منزلة السنة النبوية في ذلك."[1] ومنه نلحظ بأن الكاتب ترك حرية الاختيار للمتلقي في التمسك بالتعليم الديني والعمل به .

3/ قاعدة التودّد :

ترمي هذه القاعدة إلى إقامة علاقة وِدّ بين المتخاطبين وعدم الأخذ بعين الاعتبار كل من المرتبة والسن ، مثل : استعمال ضمير المخاطب والاسم والكنية واللقب، ومثال هذه القاعدة يتجلى

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس،ج1، مج 2، ص219 .

في قوله :"إذا رجعت إلى موطأ مالك سيد أتباع التابعين فإنك تجده في بيان الدين قد بنى أمره على الآيات القرآنية ..."[1] نلاحظ هنا استعمال ضمير المخاطب أنت في قوله: رجعت، وتجده.

ثانيا : مبدأ التواجه .

- **قيمة الوجه الاجتماعية :** يجب على المرسِل أن يصون وجه غيره ففي صيانة وجه غيره صيانة لوجهه هو أيضاً، وذلك علامة على الاحترام المتبادل والتعاون بينهما ، ويظهر ذلك في قوله :"فالعلماء – إلا قليلا منهم – أجانب أو كالأجانب من الكتاب والسنة من العلم فهما والتفقه فيهم."[2] نلاحظ أن ابن باديس صاَن وجه العلماء في قوله إلا قليلا منهم وهو بذلك صيانة لوجهه هو أيضا.

1/ الوجه الدافع: يهدف هذا النوع إلى أن يدافع الإنسان على ما يقوم به سواء أكان فعلا أم قولا، ويتجلى ذلك في قول الكاتب:"هذا هو التعليم الديني السني السلفي فأين منه تعليمنا نحن اليوم وقبل اليوم بل منذ قرون وقرون ؟...ومن أين يكون لنا هذا ونحن لم نسمع من شيوخنا يوما منزلة القرآن[3]

2/ الوجه الجالب : يرمي هذا الوجه إلى جلب انتباه الطرف الأخر، وذلك من خلال رسم صورة ايجابية عن ذات الشخص التي تفرض عليه الاحترام والتقدير، ويتجلى ذلك في قوله :"فإننا عقدنا العزم على إصلاح التعليم الديني في دروسنا حسب ماتبلغ إليه طاقتنا إن شاء الله تعالى "[4]:

---

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس،ج1، مج 2، ص 218 .

[2]- المصدر نفسه، ص 219 .

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[4]- المصدر نفسه، ص 219 و220 .

وقوله "غير أن ذلك لا يمنعنا من السعي والعمل بصدق الرجاء وقوة الأمل وسنُنفذه في دروسنا هذا العام والله المستعان "[1]

ثالثا :مبدأ التأدب الأقصى .

لم تتحقق كل القواعد التي تتفرع عن مبدأ التأدب الأقصى، لأن عبد الحميد بن باديس اعتمد على الموضوعية تجاه هذه المواضيع التربوية الحساسة التي لها علاقة بمستقبل النشئ الصاعد.

من بين القواعد المتحققة في هذه المقالة، نذكر مايلي :

1/ قاعدة الاستحسان :

نلاحظ أن ابن باديس طبق الصورة الأولى التي ترمي إلى التقليل من ذم الغير، وذلك من خلال قوله:" فالعلماء - إلا قليل منهم – أجانب أو كالأجانب من الكتاب والسنة من العلم بهما والتفقه فيهما "[2] فلم يستعمل سوى هذه الجملة فقط ولم يكثر في الذم .

2/ قاعدة التواضع : استعمل ابن باديس الصورة الأولى وهي التقليل من مدح الذات ، وهذا مانلحظُه في هذه الجملة :"واستشهدنا على ذلك بحالتنا نحن أنفسنا لما أخذنا شهادة العالمية من جامع الزيتونة عمره الله بدوام ذكره ."[3]

ثالثا: مقالة « كلمة صريحة ».

تندرج هذه المقالة ضمن المقالات السياسية التي كان يكتبها عبد الحميد بن باديس دفاعاً عن جمعية العلماء وكذا تثرية مجلة الشهاب للمادّة الفكرية.

---

[1]- عمار الطالبي ،آثار ابن باديس، ج1،مج 2، ص 222 .

[2]- المصدر نفسه، ص 219 .

[3]- المصدر نفسه، ص 307 .

جاءت هذه المقالة ردا على الزعيم الوطني فرحات عباس حينما تضبب حسه الوطني، فكتب مقالة باللغة الفرنسية عنوانها:"فرنسا هي أنا ".

اعتمد ابن باديس في بداية مقالته على أسلوب خبري يخبر من خلاله قارئه بهدوء نفس ورزانة عقل فيخفي من خلاله ما أراد إيصاله في مطلع هذه المقالة وكأنّه يريد أن ينقل له مجرد خبر عادي، يتمثل في الفوضى السائدة في المجتمع، حيث تنوعت من فوضى في الدين إلى فوضى في الأخلاق إلى فوضى في الاقتصاد والفوضى الأكثر خطورة هي فوضى التكلم باسم الأمة الجزائرية وهنا يتحدث الكاتب بصريح العبارة ويكشف الغاية من وراء كتابة مقالته، حيث يَرد على كل السياسيين الذين يتكلمون باسم الجزائريين أمام المجالس الفرنسية حول قضية الإدماج. "قال البعض من النواب المحليين، ومن الأعيان ومن كبار الموظفين بهذه البلاد: إنّ الأمة الإسلامية الجزائرية مجتمعة على اعتبار نفسها أمة فرنسية بحتة؛ لا وطن لها إلا الوطن الفرنسي، ولا غاية لها إلا الاندماج الفعلي، التام مع فرنسا ..." وهنا نلاحظ أن الكاتب قد قام تدرج في استخلاص النتائج من الفوضى التي تعد منطلقا لفكرة مقالته السياسية، باعتبار أن أفكار السياسيين هي أفكار استعمارية. "يتدرّج الكاتب للحديث والاعتراض على مقولة فرحات عباس، ويعد موقفه شبيها بمواقف بعض الصوفية الجزائريين المغالين الذي قال أحدهم أنّه بحث عن الله فلم يجده إلا في نفسه فأمسى إلها على حين أن فرحات عباس بحث عن الوطن الجزائري في التاريخ القديم والحديث فلم يجده إلا في فرنسا،"[1]

[1]- يُنظر : عبد الملك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر(1830- 1962)- رصد لصور المقاومة في النثر الفني ، دار هومة لطباعة والنشر والتوزيع، دط ، الجزائر، 2009 ، ج 2 ، ص 130

وبعدها يتحدث بخطاب شديد اللهجة ويردُّ على المتكلمين باسم المسلمين الجزائريين ويرفض كل الأفكار الخائنة التي تدور حول فكرة الاندماج بفرنسا، مدافعا عن الجزائر بكل مقوماتها الوطنية والحضارية لغة ودِيناً وتاريخاً وثقافةٍ ووطنية، ويثبت بناء على ذلك أن الجزائر ليست فرنسا .

1/ قواعد المحادثة .

- حكم الكم :

تنص لتكن مساهمتك محتوية الحد المطلوب من المعلومات وهذا ما نلحظه في هذه المقالة، حيث يتحدث عن الفوضى السائدة في الجزائر ويتحدث عن أخطر فوضى هي فوضى التكلم باسم الأمة ونلاحظ من خلال خطاب ابن باديس أنّه تحدث بإسهاب وتفصيل وبقدر من المعلومات الوافية في سرد أقوال وأخبار السياسيين الذين يزعمون على أن الجزائر فرنسية على حسبهم. تحققت هذه الحكمة انطلاقا من قول الكاتب :" حقا إننا نعيش في وسط سادت الفوضى فيه من جميع جهاته ، فمن فوضى في الدين إلى فوضى في الأخلاق ، إلى فوضى في الاقتصاد."[1]

- حكم النوع (الصدق) :

تجلت هذه الحكمة من خلال صدق الكاتب انطلاقا من كونّه رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورائد الإصلاح، يظهر صدقه من خلال موقفه ودفاعه الجريء على الوطن الجزائري، وكذلك الأدلة والحجج نذكر منها مايلي :" ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت ."[2] حيث تحققت هذه الحكمة عن طريق استشهاد كاتب المقالة بمجموعة من الحجج والبراهين، والتي

---

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس،ج1،مج 2، ص307 .

[2]- المصدر نفسه، ص 309 .

تجسدت في العبارات التي تلي الجملة الأولى :" بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها، وفي دينها، لاتريد أن تندمج . ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة ، والذي يشرف على إدارته العليا السيد الوالي العام المعين من قِبل الدولة الفرنسية ."[1] توالت هذه العبارات مجتمعة لتؤكد بأن الوطن الجزائري وطن مستقل له تاريخه وحضارته ولا يمكن بأي شكل من الأشكال بأن يخضع للمستعمر الفرنسي .

- **حكمة العلاقة (المناسبة):**

توافق هذه الحكمة مقولة العرب ليناسب مقالك مقامك ، وهذا واضح في هذه المقالة لأن ابن باديس كان خطابه ردًّا على مقالة فرحات عباس حينما قال :"فرنسا هي أنا" فجاءت مقالة عبد الحميد بن باديس المعنون ب:" كلمة صريحة "ردا عليه ، وهذا ما نستنتجه من تكمله لهذه المقالة وهي "حول كلمتنا الصريحة " حيث يقول فيها بن باديس :"إنا لنشهد أن من أكمل الرجال الذين رأينا فيهم بهذه المناسبة، الهمة العالية، وشرف النفس، وطهارة الضمير، الأستاذ فرحات عباس الصيدلي والعضو البلدي والعمالي بسطيف. وكان هذا الرجل الأبي من أهدافنا في مقالنا كلمة صريحة وهو الذي آخذناه عن مقاله "فرنسا هي أنا " ..."[2]

- **حكم الكيف :**

أولا يمكن أن نرى الوضوح في مقالته، وذلك من خلال تحليلنا لعنوان المقالة وهو: كلمة صريحة ، والصراحة هنا تعني الوضوح والبعد عن الغموض، لذا جاء العنوان مناسبا لمضمون هذه المقالة.

---

[1]- عمار الطالبي ،آثار ابن باديس،ج1 ،مج2 ،ص 309.

[2]- المصدر نفسه، ص 317 .

يمكن لنا أن نري وضوح الكاتب من خلال: تجنُبه الإبهام في التعبير، لأن من خصائص أسلوب التعبير عند ابن باديس هو السهولة والوضوح والبعد عن الغموض وهذا ما يتجلى في هذه المقالة من سلامة التعبير وتسلسل أفكاره، ويعود مقصده من الابتعاد عن الإبهام في التعبير حتى يتمكن القارئ من فهم مقالته بشكل صحيح ، ويمكن توضيح ذلك من خلال التعابير الواردة في خطابه، نمثل بعضها كالأتي :" إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا ..."[1]

تجنب اللّبس : من خلال تحليلنا لمقالة ابن باديس نستنتج بأنه لم يتلبس بأي فكرة أو موقع أو أي حزب سياسي وغيره في خطابه السياسي الجريء لرد على كل من يزعم أن الجزائر فرنسية باعتبار أن الكاتب من المصلحين ومرجعيته الإصلاحية تعود إلى الثقافة الإسلامية السلفية، القائمة على الإصلاح من كل جوانبه: الديني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي بكل روح وطنية متشبعة بقيم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قولاً وعملاً.

تجنب كل إطناب غير مفيد: ابتعد ابن باديس في مقالته عن كل إطناب وذلك من خلال ما جاء في مضمون هذه المقالة، حيث تدرج في عرض الأفكار بدءً بالحديث عن الفوضى السائدة ليستخلص النتائج من الفوضى التي تعد منطلقاً لمقالته التي يعارض بها فكرة الاندماج من قبل بعض السياسيين، ليتدرج الكاتب بعدها للحديث عن مقولة فرحات عباس ، وبعدها يتحدث بخطاب شديد اللهجة ويرفض كل الأفكار التي كان الزعماء السياسيين يطرحونها، ومدافعا عن الجزائر وهويتها وتاريخها وحضارتها لغة وشعبا وجغرافيا وتاريخ ، ثم يُبرر بناء على ذلك بأنّ الجزائر

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس،ج1، مج2، ص 308 .

ليست فرنسا، يُمثل هذا البعد عن الإطناب غاية ابن باديس من أجل التركيز على الدفاع والرد على تلك الأفكار الباطلة من أجل التصدي لها وكذا من أجل بثْ الوعي لدى الشعب الجزائري .

تجلى التنظيم في هذه المقالة من خلال إتباع منهجية كتابة المقالة القائمة على:(مقدمة وعرض وخاتمة)، وكذلك تنظيم الأفكار وتسلسلها من خلال حديثه على فكرة الإدماج، ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن اللجنة الوزارية، ثم الحديث عن الإضراب التونسي.

2/ الاستلزام التخاطبي (الحواري) :

- خرق حكم الكم :

ويتضح ذلك في قول الكاتب:"هاجت تونس وحق لها أن تهيج ، وأضرب طلبة الجامع الأعظم وحق لهم أن يضربوا، وتظاهروا في الطرق العامة، وكان حقا عليهم أن يتظاهروا، فليست الصدمة التي صُودم بها طلبة الجامع المعمور والمتخرجون منه بالصدمة الصغيرة ،..."[1] نلاحظ أن ابن باديس استعمل في هذه الفقرة معلومات كثيرة تفوق الحدّ المطلوب مثل قوله : تهيج ، يضربوا ، تظاهروا، صودموا ... ، والمعنى المستلزم فيما يقصده ابن باديس كونه يلمح لشعب الجزائري بضرورة التصدي للاستعمار الفرنسي ومقاومته .

- حكم الكيف :

خرق مبدأ الوضوح وهذا واضح في قول الكاتب: "وإننا نتكلم اليوم حول هذا الموضوع اثر ما رأيناه من الحملة التي أجمعت الأمة على مجابهة جريدة الطان بها، واثر اجتماع اللجنة الوزارية

[1]- عمار الطالبي ، آثار ابن باديس ، ص 313 .

الإسلامية بباريس."[1] حيث لم يتقيد ابن باديس بالوضوح في هذه الجملة وخاصة في قوله :" وإننا نتكلم اليوم حول هذا الموضوع..."[2] ويظهر الإبهام بوضوح في هذه الجملة، والمعنى المستلزم الذي قصده الكاتب من هذا الموضوع هو الحديث عن فكرة الاندماج والتجنيس التي كانت تنادي بها فرنسا وكذلك أقوال بعض السياسيين على اعتبار أن الأمة الإسلامية الجزائرية على أنها فرنسية لا وطن لها إلا الوطن الفرنسي .

خرق مبدأ الإطناب :

اعتمد عبد الحميد بن باديس على الإطناب ولم يوجز في قوله :" ولو أنهم اقتصدوا في القول ولم يلجوا باب الغلو والإسراف، وقالوا إننا نتكلم باسم الفريق الذي انتخبنا، أو باسم الهيئة التي ننتمي إليها، أو باسم الجماعة التي نحن منها أو باسم الذين يشاركوننا في الرأي والتفكير، لكان قولهم أصوب، ورأيهم أصلح، وكلامهم أقرب إلى نفوس السامعين من رجال الحكومة ومن رجال الشعب."[3] حيث كان كل هذا الكلام أن يتلخص في فكرة واحدة أو جملة واحدة ، حيث كان بوسعه أن يقول :" وقالوا إننا نتكلم باسم الفريق الذي انتخبنا. "[4] لكان أفضل حتى يتجنب الإطناب، ولكن قصده من ذلك يكمن في تفسير وتوضيح وكشف الفريق الذي كان وراء هؤلاء السياسيين حول فكرة أن الجزائر فرنسية، وأيضا حتى يُبطل قوله ويوضح بأنهم على خطأ .

---

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس، ج1، مج 2، ص 307 .

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[4]- المصدر نفسه، ص307.

أولا : مبدأ التأدب .

نلاحظ أن عبد الحميد بن باديس في مقاله "كلمة صريحة " لم يستعمل قاعدة التعفف وكذا قاعدة التخيير نظرا لما يفرضه موضوع هذه المقالة القائم على الرد على كل من يزعم أن الجزائر فرنسية.

1/ قاعدة التودد:

يظهر الودُّ في خطاب ابن باديس للمرسل إليه من عدّة تعابير وألفاظ تجعل من الكاتب بمثابة صديق للمخاطب، ومن بين ما استعمله ضمير المخاطب، الاسم ،اللقب، الكنية، ومثال هذه القاعدة يتجسد في قول الكاتب :" لا ياسادتي نحن نتكلم باسم قسم عظيم من الأمة ،"[1] استعمال بعض الألفاظ التي تدل على الاحترام والتودد مثل قوله :ياسادتي .

"فهذه المسألة الدينية إذا استثنينا شخص الشيخ ابن الساسي قاضي قسنطينة لا نجد من يستطيع أن يقول فيها كلمة ."[2] تجسدت هذه القاعدة من خلال استعمال الكنية (الشيخ) والاسم (ابن الساسي) والمهنة (قاضي قسنطينة) .

---

[1]- عمار الطالبي ،آثار ابن باديس، ج1، مج2، ص308.

[2]- المصدر نفسه، ص 311 .

ثانيا : مبدأ التواجه .

- **قيمة الوجه الاجتماعية** : يقول ابن باديس :" بل إنّ تشكيل تلك اللجنة يدلنا دلالة صادقة على رغبة حكومة فرنسا في درس المسائل الإسلامية الجزائرية دراسة عميقة، حتى تتقي في المستقبل الأخطاء التي كانت تُرتكب من قبل ."[1] هنا نلاحظ أن ابن باديس صان حكومة فرنسا حول فكرة تأليف لجنة من مسلمي الجزائر يستشيرها رجال الوزارات الفرنسية المختلفة في المسائل التي تَهم البلاد الجزائرية، حتى تسير الحكومة الفرنسية في سياستها الجزائرية، ففي صيانة وجه فرنسا هو صيانة لوجهه هو أيضا، وذلك علامة على الاحترام وأيضا من أجل تثبيت فكرة أن القيادة للجزائر حسب ما يمكن تأويله من هذا النص .

1/الوجه الدافع : يهدف هذا النوع إلى أن يدافع الإنسان على ما يقوم به سواءً كان فعلا أو قولا، ويتضح ذلك من خلال الفقرة التالية :"...نقول لكم إنكم من هذه الناحية لا تمثلوننا ولا تتكلمونا باسمنا، ولا تعبرون عن شعورنا وإحساسنا."[2] ويتجلى الرفض بكل وضوح، فهو يرفض كل الأفكار الخائنة التي كان يُروج لها الزعماء السياسيون التابعين لفرنسا، بحيث أنه لم يكونوا يمثلون إلا أنفسهم وبناءً على ذلك يقول ابن باديس في الفقرة الموالية :"إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية. ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها، بما فيها من حسن وقبيح، شأن كل أمة في الدنيا."[3] وهنا يُثبت ابن

---

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس ،ج1،مج2، ص 310 .

[2]- المصدر نفسه، ص 308 .

[3]- المصدر نفسه، ص 308 و 309 .

باديس على مقولة فرحات عباس حينما فتش عن الحقيقة الجزائرية في التاريخ القديم والحديث فلم يجد لها من أثر فقتنع أنّها غير موجودة وإنّما الموجود هو فرنسا .وبذلك يُقيم ابن باديس دفاعه القائم على المنطق بنفس ما فكر به فرحات عباس وهو أن ابن باديس بحث عن الجزائر في التاريخ القديم فوجدها أرضاً وشعباً وأثرا وتاريخا .

2/الوجه الجالب : يرمي هذا الوجه إلى جلب انتباه الطرف الأخر، وذلك من خلال رسم صورة ايجابية عن ذات الشخص التي تفرض عليه الاحترام والتقدير، وهذا ما نلحظه في هذه الفقرة التالية: "ثم إن هذا الوطن الجزائري صديق لفرنسا مخلص، وإخلاصه إخلاص قلبي لا إخلاص ظاهري، ... فهو في حالة السلام والأمن يطلب من فرنسا أن تحترم دينه ولغته ،...أمّا في حالة الأزمات العالمية ،...فالمسلم الجزائري يهبُ كالليث من عرينه ، لدفاع عن الأرض الفرنسية كما يدافع عن أرضه الجزائرية ...فنحن الجزائريين المسلمين العائشين في وطننا الجزائري ،...نعيش مع الفرنسيين، عيش الأصدقاء المخلصين، نحترم حكومتهم وقوانينهم ونطيع أوامرهم ونواهيهم، ونريد منهم أن يحترموا ديننا ولغتنا ،..."[1] يتضح لنا من هذا الخطاب أن ابن باديس اعتمد على بيان الوجه الجالب حتى يُوضح أن الجزائر وشعبها يمتلك قيم أخلاقية وخِصال حميدة منها:الاحترام،الصداقة الإخلاص والتعايش والسلام وبذلك يجلب الاحترام والتقدير من قبل المتلقي ومن المستعمر.

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس،ج1،مج2، ص309 .

ثالثا :مبدأ التأدب الأقصى .

لم يستعمل عبد الحميد بن باديس في مقالته السياسية "كلمة صريحة " مبدأ التأدب الأقصى القائم على تأسيس الصداقات، لأن ابن باديس كان صريح التعبير مدافعا ومنتقداً على من سولت له نفسه أن يطعن في الجزائر بكل تجرده من القيم الإنسانية وتجرده من الوفاء والإخلاص لوطنه الحبيب الجزائر حيث تمرد هؤلاء السياسيين المُطعمين بتطعيم جرعات مضاعفة بِسُم الفكر الفرنسي القائم على الاندماج والتجنيس، وعلى هذا الأساس لم يستعمل ابن باديس مبدأ التأدب الأقصى وقاعدة اللباقة وباقي القواعد الأخرى، لأنه كان في موقف استنكاري مدافعا عن القضية الجزائرية وعن الاستقلال .

رابعا : مقالة حول كلمتنا الصريحة .

1/ قواعد المحادثة .

تعدّ مقالة "حول كلمتنا الصريحة " عبارة عن تكملة لمقالة " كلمة صريحة " اللتان تصنفان ضمن المقالات السياسية، والتي عُدّت وسيلة توجه إليها عبد الحميد بن باديس في تلك الفترة التي شهدتها البلاد، لتنويه بأن للجزائر مقوماتها الشخصية رافضاً بذلك سياسة الاندماج التي دعت إليها فرنسا .

يتجسد ضمن هذه المقالة مجموعة من القواعد التخاطبية يأتي في مقدمتها:

مبدأ التعاون: تجسّد بوضوح هذا المبدأ باعتبار أن عبد الحميد بن باديس ظهر تعاونه جليّا مع مخاطبيه، حيث تحدّث بصراحة عن ردود أفعال رجال السياسة حول مقالته "كلمة صريحة".

وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن هذا المبدأ كان متحققا، والسبب في ذلك هو تَحقق الهدف الذي نشأت من أجله مقالة "كلمة صريحة" التي أسفرت نتائجها المقالة التي جاء بعدها المعنونة ب" حول كلمتنا الصريحة"

تَمثّل الهدف في ردّ السيد فرحات عباس الذي تلقى المقال بكل قبول ولم يستنكر ولم يتذمر على ماقام بتوجيهه إياه عبد الحميد بن باديس، لأن الهدف الذي كان يسعى إليه ابن باديس هو توضيح وتصحيح بعض أفكار فرحات عباس الذي كان يعتقد بأنّها خاطئة، مستخدما في ذلك أسلوبا محترما راقيا كل هذا من أجل الظفر بالهدف المنشود الذي كان يسعى من خلاله دعاة الإصلاح ألا وهو محاربة الاستعمار وعدم الاندماج مع فرنسا.

إن المحور الرئيسي المستهدف الذي نشأت من أجله مقالة "حول كلمتنا الصريحة" هو فرحات عباس حيث وجه له ابن باديس هذه المقالة، الذي استخدم فيها معلومات دقيقة كافية عن هذه الشخصية الثورية الجزائرية. ومن حكم المحادثة التي تحققت نذكر:

- **حكم الكم:**

تجسدت هذه الحكمة عندما قال "الأستاذ فرحات عباس الصيدلي، والعضو البلدي والعمالي بسطيف."[1]، يتضح من خلال هذه العبارة بأنّها استوفت الحدّ المطلوب من المعلومات التي يمكن للمخَاطب أن يفهم وبطريقة مباشرة ما يجب أن يَفهمه عن هذه الشخصية الفذّة التي استهدفها عبد الحميد بن باديس، وهذا ما توضحه أيضا هذه العبارة حين قال: "كان هذا الرجل الأبي من أهدافنا في مقالنا (كلمة صريحة) وهو الذي أخذناه عن مقاله فرنسا هي أنا."[2]

---

[1].- عمار طالبي ، آثار ابن باديس ،ج1، مج2، ص 317 .

[2].- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

- **حكم النوع (الصدق):**

تجسدت هذه الحكمة في كثير من العبارات على سبيل المثال نذكر: "إن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا"[1]، تحققت هذه الحكمة عن طريق استشهاد كاتب المقالة بمجموعة من الحجج والبراهين، التي تجسدت في العبارات التي تلي الجملة الأولى: "وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة، فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أنها تزداد تقلبا مع التاريخ وليس من العسير بل أنه من الممكن أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي والأدبي،... وتسلك فرنسا مع الجزائر مسلك انجلترا مع استراليا وكندا واتحاد جنوب إفريقيا، وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا،..."[2]، توالت هذه العبارات مجتمعة لتؤكد بأن الاستقلال حتمية يجب على الشعب الجزائري أن يؤمن بها، وعلى السلطات الاستعمارية أن تتأمل في شيء قرب انتهاءه مع شعب لم ييأس ولم يهدأ له بال حتى ينال حريته المسلوبة.

- **حكمة العلاقة (المناسبة):**

كان لهذه الحكمة نصيبها في هذه المقالة حيث تجسدت: في عدم خروج بن باديس عن الفكرة الرئيسية التي تناولتها هذه المقالة ألا وهي الرد على كل من يؤمن بفكرة اندماج الجزائر إلى فرنسا،ودحض كل الافتراءات الموجهة إلى الشعب الجزائري، وكذا الشتم الموجه إليه بسبب مقالاته السياسية، ومن هنا يتبين لنا بأنّه كان شديد الصلة بالموضوع لأنّ الظروف السائدة آنذاك هي التي حتمت عليه بأن يتخذ المقالات وخاصة السياسية منها سلاحا يحارب به الاستعمار وكل أشكاله.

---

[1]- عمار الطالبي،آثار ابن باديس، ج1، مج2، ص 320 .

[2]- المصدر نفسه، ص 320 و 321 .

- **حكم الكيف:**

تحققت جلّ هذه الحكم المتفرعة عنه: كالوضوح الذي طغى على هذه المقالة، وذلك من خلال تجنب التلميحات والألفاظ المستلزمة، كما أنه لم يستخدم ألفاظ مبهمة والدليل على ذلك ابتعاده كل البعد عن الغموض الذي يؤدي إلى عسر في الفهم لدى المخاطب (المرسل إليه)، لأن الهدف في مقاله هذا هو توجيه رسالة توعوية تحفيزية لرفع معنويات الشعب الجزائري من جهة، ومن جهة أخرى الرد على كل من خول نفسه لتشويه وسب الأمة الجزائرية بما لا يليق بها. ومن هنا عمد عبد الحميد بن باديس على استخدام ألفاظ سهلة من أجل الفهم السريع، نذكر على سبيل المثال: رجال السياسة، صراحتنا، محاولات التجنيس، بلاده، الأرض، الأمة، سياسة الاندماج... وما إلى ذلك.

لم نلحظ أيضا بأنّ عبد الحميد بن باديس طغى على مقاله نوع من التكرار إلا ما استدعته الضرورة وذلك من أجل خدمة المعنى، نذكر في هذا الصدد: "وإننا لا نخشاه ولا نحشى البحث فيه."[1]، ومن هنا لا يمكننا القول بأن متكلمنا لم يحترم الإيجاز الذي يندرج ضمن حكم الكيف.

كن منظما: حضي هذا المقال بتسلسل أفكاره ووضوح معانيه، فكانت عناصره متلاحمة تصب كلها في الموضوع الرئيسي.

2/ الاستلزام التخاطبي (الحواري) :

وردّ الاستلزام التخاطبي في الحوار الذي جرى بين رجل كان يدحض ويرد على ماقاله عبد الحميد بن باديس في مقاله كلمة صريحة ، حيث وجه هذا السائل في حواره مجموعة من الأسئلة

[1]. عمار الطالبي، آثار ابن باديس، ج1، مج2، ص321.

كان الهدف منها تجريح وإهانة كل من ينوه ويفتخر بالهوية الجزائرية، ولهذا السبب كانت أجوبة عبد الحميد بن باديس غير متكافئة متجاوزا بذلك حكم الكم والنوع والعلاقة والكيف .

- **خرق حكم الكم** :

تم خرق هذه الحكمة، وذلك عن طريق تجاوز الحد المطلوب من المعلومات عندما أجاب على السؤال الأتي:" متى كانت حدود الجزائر على ماهي عليه الآن."[1] لنفرض أن حدود الجزائر لم تُرسم على صفتها الحالية شرقا وغرباً إلا منذ نحو مئة عام ." فكان من المفروض أن يجيبه على قدر سؤاله بطريقة مباشرة ودقيقة.

- **خرق حكم النوع (الصدق)** :

يتضح خرق هذه الحكمة من خلال قوله الذي طرحه على شكل سؤال : "فهل نستطيع أن نجيبه بأن لغة هذا الوطن ليست عربية بدليل أن جريدة النجاح تنشر بلغة الصين، وأن الجريدة الرسمية الحكومية تنشر إلى جانب نسختها الفرنسية نسخة بلغة النبط والكلدانيين ."[2]

- **خرق حكمة العلاقة (المناسبة):**

تم خرق هذه الحكمة من خلال توجيه أسئلة من قبل عبد الحميد بن باديس لسائل الذي كان يسأله في كل مرة عن كل مايتعلق بالجزائر ، فكان عبد الحميد بن باديس يتهرب من الإجابة على سؤاله بطرح سؤال أخر .

---

[1] - عمار الطالبي،آثار ابن باديس،ج1، مج2، ص 318 .

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أولا : مبدأ التأدب .

من الملاحظ في هذا المقال أيضا تَحقق إلى جانب مبدأ التعاون مبدأً أخر تداولي يرمي بصفة عامة إلى أن يتحلى كل من المتخاطبين بجانب أخر يؤثر في العملية التخاطبية ألا وهو :الجانب التهذيبي أو التعاملي .

1/ قاعدة التعفف:

تتجسد هذه القاعدة في هاتين العبارتين:"إذ بينا في جلاء ووضوح أننا مع احترامنا للسلطة الفرنسية، وإطاعتنا لقوانين الجمهورية، نريد ونستطيع أن نحافظ على ذاتيتنا الخاصة."[1]

كانت لسياسة التهذيب نصيب في هذه المقالة، والدّليل على ذلك هو احترامه لمبدأ التأدب وقاعدة التعفف التي تُصنف ضِمنه، ذلك أن المتكلم كان متحليا بسعة صدر كبيرة تُجاه الطرف الثاني.

2/قاعدة التخيير:

تجلت هذه القاعدة بوضوح عندما وجه بن باديس مقاله « كلمة صريحة » التي كانت كنتيجة وردة فعل إيجابية على مقالة فرحات عباس المعنونة ب « فرنسا هي أنا ».

حاور عبد الحميد بن باديس من خلال مقاله هذا كل من يريد أن يساهم بشكل من الأشكال كي تصبح الجزائر جزءً من فرنسا ، حيث تَجلت صراحته في هذا الشأن باعتباره كان من المعارضين لهذه السياسة الإدماجية، ومُصلحا من جهة أخرى يحُثُ ويُوعي كل من يجهل بأنّ لفرنسا نوايا أخرى باطنية غير النوايا الصادقة التي كانت تُغري بها الشّعب الجزائري بصفة عامة والطبقة المثقفة الواعية بصفة خاصة كرجل السياسة فرحات عباس: الذي استهدفه مقاله « كلمة صريحة»

---

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس، ص 316 .

الذي تطرق مُحررها بأسلوبه الراقي ورزانته وفطنته وحرصه على تبيان الحقائق للمخاطَب وجعله يختار ما يناسبه من الاختيارات الصائبة التي وضعها بين كفيه، ومنه يتبين لنا بأنّ المتكلم عبد الحميد بن باديس لم يقُم بالضغط على فرحات عباس بأن يتخذ القرار الذي كان يُنوه ويدافع عليه ،وإنّما ترك له حرية الاختيار والدليل على هذا ماجاء في هذه المقالة من جمل تدل كلُها على تحقق قاعدة التخيير :"فالسيد فرحات عباس، لم يتألم ولم يتكدر، وسلك مسلك كبار رجال السياسة الذين يحبذون النقد ويُناصعون لكلمة الحق ...[1]

3/ قاعدة التودد :

إنّ تحققَ هذه القاعدة وارد من خلال هذه المقالة، وهذا ما نلحظه فيما يلي:"وأنا لنشهد أن من أكمل الرجال الذين رأينا فيهم بهذه المناسبة الهمة العالية، وشرف النفس، وطهارة الضمير."[2] فهذه الجمل تحمل شحنة من العواطف والحنان والحب الذي أظهره عبد الحميد بن باديس لمخاطبه فرحات عباس.

ثانيا : مبدأ التواجه .

إن الهدف الأسمى الذي جعل عبد الحميد بن باديس يسلك مسلك الكتابة ويتوجه إلى المقالة بشكل محدد ومخصص هو رغبته في مواجهة الطرف الثاني الذي يُعتبر المُحفز الرئيسي الذي أدى به إلى الكتابة المقالات بشتى أنواعها خصوصا السياسية منها ، وذلك نتيجة غزو المستعمر الفرنسي مختلف بلدان المشرق من بينها الجزائر. كل هذا من أجل الدفاع عليها ومواجهة كل الافتراءات الكاذبة الموجهة إليها من جهة ، ومن جهة أخرى توعية وتحفيز شعبها وحثه على

---

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس،ج1، مج2، ص 317 .

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

واجباته التي يجب أنْ يُساهم بها من أجل تَحرر بلاده واسترجاع حقوقها وخيراتها المستنزفة من قبل المستعمر الفرنسي .

يتجسد هذا المبدأ في هذه المقالة من خلال العاملين الأساسيين الذي يرتكز عليهما هذا المبدأ :

- **قيمة الوجه الاجتماعية**: تتجسد في هذه المقالة، حين قال في هذا الموضع:"إننا أكدنا في (الكلمة صريحة) رغبتنا في الاحتفاظ بكياننا العربي الإسلامي فوق أرض آبائنا وأجدادنا، مع احترامنا التام للسلطة وخضوعنا لقوانين البلاد."[1] يُعد هذا العامل عبارة عن إستراتيجية اتخذها عبد الحميد بن باديس من لأجل تهدئة الأوضاع بينه وبين السلطات الفرنسية، وكذا رسم صورة ايجابية يرى من خلالها العالم كله بأن الشعب الجزائري شعب واعي مثقف غير متعصب يسعى إلى السلمية والتعايش مع الطرف الأخر .

1/ الوجه الدافع : لايرمي هذا الوجه إلى جلب الانتباه، ومنه يتجلى هذا الوجه عندما وجه عبد الحميد بن باديس مقاله « كلمة صريحة » إلى كل من أراد فكرة التجنيس وشجع عليها، حيث قال:"إنكم عندما تسعون وتحبذون هذا لاتمثلوننا ولا تتكلمون باسمنا ، إنكم في واد والأمة في واد آخر."[2] يتضح أيضا الوجه الدافع عندما وجه عبد الحميد بن باديس كلاما في حق كل من ساهم بقلمه محرراً مقالة لا أساس لها من الصحة ، فقال :"نحن لا نشرفهم بذكر اسمهم ، احتقاراً لا جهلاً ."[3]

---

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس ،ج1، مج2، ص 320 .

[2]- المصدر نفسه، ص 317 .

[3]- المصدر نفسه، ص 319 .

2/الوجه الجالب : يعد نقيض الوجه الدافع لأنّه يرمي إلى جلب انتباه الطرف الثاني، حيث تمثل عبد الحميد بن باديس للوجه الجالب حينما قال :"...لكنّنا لا نقول لهم هذا، ولا نوجه لهم أمثال هذا الكلام،فلنا من آدابنا الإسلامية ، كذا من شهامتنا العربية ما يمنعنا عن الانغماس في مستنقعهم النتّن ."[1] يتضح لنا من خلال هذا المقطع أن عبد الحميد بن باديس كان هدفه جلب انتباههم من خلال فرض احترامه عليهم، رغبة منه في أن يتغيروا ويتوقفوا عن سب وشتم كل من له الجنسيّة الجزائرية .

ثالثا:مبدأ التّأدب الأقصى :

يسعى هذا المبدأ إلى جانب تعاون كل من المتكلم والمخاطَب فيما بينهم لإنجاح العملية التخاطبية، يسعى أيضا إلى الأخذ بعين الاعتبار الجانب التأدبي الذي يجب على المتخاطبين التحلي به والسعي إلى إقامة صداقة قائمة على أُسس متينة تراعي فيها الجانب الاجتماعي الذي لا يمكن لأي إنسان التجرد منه، وكذا الجانب النفسي الذي له تأثير كبير على كل من الأطراف المشاركة في المحادثة، فمثلا إذا وجهنا كلاما فيه تجريح وإهانة إلى الطرف الثاني (المخاطَب) يمكن أن يكون سببا في انقطاع التواصل الحاصل بين المتخاطبين من جهة، ومن جهة أخرى عائقا يؤدي إلى انسحاب المتخاطبين في إقامة علاقة والسبب راجع إلى عدم تأدب الطرفين مع بعضهم البعض .

إنّ الشيء الملاحظ في هذه المقالة أن فرحات عباس من خلال استجابته لنداء عبد الحميد بن باديس قد تعاون وكان تأدبه أقصى مما كان يُتوقع، فكان يهدف إلى جانب تأدبه وتعاونه إلى إقامة

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس،ج1، مج2، ص 320 .

علاقة صداقة متينة من أجل تثمين القُدرات واتحادهم فيما بينهم لظفر بأهم النتائج التي كان يسعى من خلالها هذان الرجلان الثوريان .

تجسد هذا المبدأ فيما جاء على لسان عبد الحميد بن باديس حين قال :"فزار إدارة الشهاب ، وأكد لها تقديره لجهودها ، وجرت به المحادثة دَلت على سمو أدبه وعلو كعبه في عالم السياسة والتفكير."[1]

من بين القواعد التي يتفرع عليها هذا المبدأ مايلي :

1/ قاعدة اللباقة:

تحققت صورة من هذه القاعدة الذي أبدى من خلالها كاتب المقالة احترامه وتقديره لفرنسا، حين قال:"مع احترامنا التام للسلطة وخضوعنا لقوانين البلاد."[2]

2/ قاعدة السخاء :

لم تتحقق هذه القاعدة لأن صورتاها قائمتا على الذات ،غير أنّ هذا المقال المُحرر من طرف عبد الحميد بن باديس طغى عليه الضمير نحن ، أي تكلم باسم الجماعة ، ومن بين الألفاظ التي تدل على هذا نذكر على سبيل المثال : ننظر ، نشرناها ، نتوقعه ، بينا ، نريد ، نستطيع ، نحافظ ، ننسلخ ...الخ

---

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس،ج1، مج2، ص 318 .

[2]- المصدر نفسه، ص 320 .

3/ قاعدة الاستحسان :

تحققت هذه القاعدة بصورتاها بين الفينة والأخرى، حيث نجد أنه لم يَقُم بذم الغير إلا في بعض المواقف، نذكر على سبيل المثال :"... فأولئك قوم فزعوا من مقالنا كما تفزع الخفافيش من نور الفجر ،..."[1]

أما الصورة التي تقوم على الإكثار من مدح الغير هي الأخرى تجسدت في هذه المقالة حينما مدح عبد الحميد بن باديس السيد فرحات عباس وشهد له بأنه من "أكمل الرجال الذين رأينا فيهم بهذه المناسبة، الهمة العالية وشرف النفس، وطهارة الضمير ،..."[2]

4/ قاعدة التواضع :

لا تختلف هذه القاعدة عن قاعدة السخاء في كون أنّ صورتاها انصبتا على الذات ، والكاتب تحدث بصفة الجمع ، ومن هنا يمكننا القول أنّ هذه المقالة لم يخصصها للحديث عن نفسه بذكر محاسنها ومساوئها ، وإ،ما كان يتحدث عن قضية مصيرية . وعليه يمكن القول بأنّ هذه القاعدة لم تتحقق في مقالة « حول كلمتنا الصريحة » .

5/قاعدة الموافقة :

توافقت أراء عبد الحميد بن باديس بشكل كبير مع شعبه لأن هدفهم كان واحد وهو دحض سياسة الإدماج والتخلص النهائي من المستعمر الفرنسي، والدليل على هذا يتوضح فيما يلي : "...وفيها بيان لعواطف وإحساس وشعور الأغلبية المطلقة من سكان هذا الوطن الجزائري."[3]

---

[1]- عمار الطالبي،آثار ابن باديس،ج1، مج2، ص 316 .

[2]- المصدر نفسه، ص317 .

[3]- المصدر نفسه، ص 316 .

6/قاعدة التجانس :

تحققت قاعدة التجانس هي الأخرى في هذه المقالة، لأنّ عبد الحميد بن باديس تكلّم باسم الشعب ولشعب ولم يخرج عما كان يطلبه وينادي به الشعب الجزائري، كما أن مقالاته لقيت صدى كبير في مختلف أوساط المجتمع .

خاتمة

في خاتمة البحث يمكن أن نجمل النتائج المتوصل إليها فيما يلي :

- تعد التداولية علم جديد للتواصل، تهتم بكل الجوانب التي تتشكل منها اللغة، وخاصة الجانب الإستعمالي لها .
- تتشكل التداولية من عدّة عناصر يأتي في مقدمتها السياق الذي يلعب دورا هاماً في تحديد الوجهة الحقيقية للخطاب.
- إن نظرية أفعال الكلام هي الانطلاقة الأولى للفعل اللغوي المباشر الذي استكمله سورل، ثم جاء غرايس الذي انتقل من الفعل اللغوي المباشر إلى الفعل اللغوي غير المباشر وانصب اهتمامه عليه بالدراسة والتحليل.
- كان اهتمام غرايس منصبا على المحادثة، باعتبارها تنتمي إلى اللغة العادّية التي نشأت من خلالها نظرية التخاطب .
- سعى غرايس من خلال ضبط المحادثة إلى البحث عن مبادئ وأُسس فتوصل إلى إيجاد مبدأ عام أُصطلح عليه بمبدأ التعاون .
- إن الشيء المُلاخظ الذي شدّ انتباه غرايس في بعض الخطابات، هو أنّ هناك معاني مستلزمة لا يمكن أن تُفهم من المعنى الظاهر للجملة، وهذا ما أُصطلح عليه بظاهرة الاستلزام التخاطبي (الحواري).
- ينقسم الاستلزام إلى نوعين: استلزام عرفي واستلزام تخاطبي، وهذا النوع هو الذي اهتم به غرايس، كونه هو الذي تُولده قواعد المحادثة، وذلك عن طريق خرق حكمة من مبدأ التعاون.
- يُعد مبدأ التعاون المبدأ التداولي الأول الذي يضبط العملية التخاطبية من جانبها التبليغي،وذلك عن طريق الحكم المتفرعة عنه، فحكم الكيف تنظر إلي كمية المعلومات المقدمة إلى

المخاطَب، فيجب أن تكون مُحتوية على الحد المطلوب من المعلومات، أمّا حكم النوع الصدق تُصرُ على أن تكون مساهمة كل من المتكلم والمُخَاطب صادقة مُبرهن عليها بالحجج والبراهين . وحكمة العلاقة (المناسبة) ترمي إلى عدم خروج المتخاطبين عن الموضوع الذي هم بصدد الحديث فيه، أما حكم الكيف فهي تنظر إلى الكيفية التي تُعرض فيها الأفكار بطريقة متسلسلة وواضحة وموجزة .

- إن المبادئ التحادثية التي جاءت كامتداد لمبدأ التعاون تُعدّ كلُّها بمثابة مبادئ مكملة لمبدأ عام؛فمثلا مبدأ التأدب ومبدأ التأدب الأقصى كان الهدف منها هو دمج الجانب التهذيبي ضمن العملية التخاطبية، أما مبدأ التواجه فكان يسعى تارةً إلى التعاون وتارةً أخرى إلى التهذيب، وذلك عن طريق قيمة الوجه الاجتماعية والوجه الجالب .
- تنوعت مواضيع مقالات عبد الحميد بن باديس، فجاءت تارةً إصلاحية وتارةً أخرى سياسية،وأخرى تربوية ودينية، فكانت تُساير الأحداث والوقائع التي كانت سائدة آنذاك .
- تضمنت مقالات عبد الحميد بن باديس على مبدأ التعاون والحكم المتفرعة عنه، فظهر تعاونه جلياً من خلال هذه الحكم لأن الهدف من هذه المقالات هو إيصال أفكاره بطريقة تُساير شروط التواصل المُفضي إلى فهم الخطاب .
- من خلال الوقوف على مضمون مقالات عبد الحميد بن باديس تجلي حضور كل القواعد التخاطبية دون استثناء، وذلك بطرقة ضمنية يمكن الوصول إليها من خلال التأويل الصحيح والفهم الجيد الذي كان يريده عبد الحميد بن باديس من خلال مقالاته .
- كانت ظاهرة الاستلزام التخاطبي حاضرة في مقالات عبد الحميد بن باديس حسب ما تقتضيه خطاباته .

ملاحق

مجموعة أعمال الدكتور عمار طالبي

الإمام عبد الحميد ابن باديس
حياته وآثاره

الجزء الثاني

معاملات اجتماعية تربوية
أخلاقية دينية سياسية

المجلد الثالث

إعداد وتصنيف
الدكتور عمار طالبي

دار كردادة
للنشر والتوزيع

الملحق الأول:

الإصلاح أمس واليوم

أول من نادى بالإصلاح الديني علما وعملا نداء سمعه العالم الإسلامي كله في عصرنا هذا هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وأول من قام بخدمته بنشرة إسلامية عالمية هو تلميذه حجة الإسلام السيد محمد رشيد رضا صاحب "المنار". رحمهما الله وجازاهما عن الإسلام والمسلمين خيرا ما جازى به المجددين لهذا الدين.

ومن عدل الله وحكمته أن كان مبعث هذه الدعوة الإصلاحية هو مصر. مصر التي هي مبعث أكثر البدع والضلالات الاعتقادية والعملية من يوم انتصبت فيها دولة الفاطميين فرسخت فيها البدع الطرقية وغير الطرقية -والطرق حيثما كانت فهي تكأة وملجأ البدع والخرافات- وصارت الخطة الطرقية من الخطط الإسلامية في الحكومات المصرية التي تحميها وتؤيدها، فصارت البدع والضلالات رسمية في نظر المسلمين وغير المسلمين، وجاء الأزهر وأهل الأزهر - إلا قليلا- على دين الدولة وهوى العامة، يقرون تلك البدع والضلالات بسكوتهم، بل بمشاركتهم العملية وتأييدهم الفعلي والقولي وما ينتشر عنهم من كتب وتلاميذ.

أما الجامعان اللذان يذكران مع الأزهر بشمالنا الإفريقي، وهما الزيتونة بتونس والقرويون بفاس، فهما - إلا قليلا- كما قال الأول:

فمَـا شَـرُّ الثَّلَاثَـةِ أُمَّ عَمْـرو بِصَـاحِبِكِ الَّـذِي لَا تَصْـبَحِينَا

وكيف يكون حال العالم الإسلامي ومراكزه العلمية الدينية في ذلك الضلال المبين؟

جاءت الدعوة الإصلاحية ومصر والعالم الإسلامي على تلك الحال،

فاصطدمت بقوة ما كانت تثبت لها لولا قوة الحق والإيمان. ومضى ثلث قرن أو يزيد والدعوة الإصلاحية تنتشر وتتقدم وتنقص البدع والضلالات من أطرافها، ولكنه لم تقم في أمة إسلامية هيئة علمية منظمة تعلن الدعوة إعلانًا عامًّا وتصمد للمقاومة غير مبالية بما يؤبد البدع والضلالات من سلطان ديني وسلطان دنيوي، غير الأمة الجزائرية، فكان من علمائها الأحرار المستقلين الذين لا يعيشون على الوظيف أولئك الذين نهضوا بالدعوة الإصلاحية منذ بضع عشرة سنة وجاهدوا فيها لله وصابروا وأسسوا لها أعظم مؤسسة دينية -جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- حتى أصبحت الدعوة الإصلاحية -والفضل لله والحمد لله- ثابتة الأركان، مشيّدة البنيان، باسقة الأفنان، دانية الثمار، وارفة الظلال، لا على الجزائر وحدها بل على الشمال الإفريقي كله.

لم يبق للمتشبثين بالبدع والضلالات والأوهام والخرافات من شبهة يتمسكون بها ويستندون إليها إلا طرقية مصر وعلماء مصر ورجال الأزهر. وكانت -لا كانت- شبهة لبس بها الشيطان كثيرا، وأضل بها العوام، وأيَّد بها حزبه وشغب بها على حزب الله. وكنا على اليقين من أن الله سيزيل هذه الشبهة، ويزيح هذه المحنة، ويؤيد العلماء المصلحين في الأزهر، فيصبح الأزهر حجة للمصلحين ومصدر هداية للمسلمين، وقد حقق الله الرجا وأصبح الأزهر اليوم يؤلف من رجاله الرسميين لجانا للقيام بالإصلاح الديني علما وعملا، ومن ورائه الحكومة المصرية تؤيده وتسنده، كما تراه في المقال التالي الذي نقلناه من جرائد مصر. فما أعظمها بشرى نزفها للمسلمين ولقرائنا في ختام هذه السنة الحادية عشرة من عمر مجلتهم، فتكون أعظم ما نهنيهم به في هذا العيد، عيد النحر السعيد، راجين من الله المزيد ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (المجادلة: 21)، آمين والحمد لله رب العالين[1].

عبد الحميد بن باديس

الملحق الثاني:

صلاح التعليم أساس الإصلاح

– 1 –

لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فإنّما العلماء من الأمّة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كلّه وإذا فسد فسد الجسد كلّه، وصلاح المسلمين إنّما هو بفقههم الإسلام وعملهم به وإنّما يصل إليهم هذا على يد علمائهم، فإذا كان علماؤهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل فكذلك المسلمون يكونون. فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم.

ولن يصلح العلماء إلاّ إذا صلح تعليمهم. فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من علمه لنفسه وغيره فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم ونعني بالتعليم التعليم الذي يكون به المسلم عالماً من علماء الإسلام يأخذ عنه الناس دينهم ويقتدون به فيه.

ولن يصلح هذا التعليم إلاّ إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه في مادته وصورته فيما كان يعلم ﷺ وفي صورة تعليمه، فقد صح عنه ﷺ فيما رواه مسلم أنّه قال: «إنّما بعثت معلما»، فماذا كان يعلم وكيف كان يعلم.

كان ﷺ يعلم الناس دينهم من الإيمان والإسلام والإحسان كما قال ﷺ في جبريل في الحديث المشهور: «هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم»، وكان يعلمهم هذا الدين بتلاوة القرآن عليهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ (النمل: 91 - 92). وبما بيّنه لهم من قوله وفعله وسيرته وسلوكه في مجالس تعليمه وفي جميع أحواله فكان الناس يتعلمون دينهم بما يسمعون من كلام ربهم

وما يتلقون من بيان نبيهم، وتنفيذه لما أوحى الله إليه وذلك البيان هو سنته التي كان عليها أصحابه والخلفاء الراشدون من بعده وبقية القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية من التابعين وأتباع التابعين.

وإذا رجعت إلى موطأ مالك سيد أتباع التابعين فإنّك تجده في بيان الدين قد بنى أمره على الآيات القرآنية وما صح عنده من قول النبي ﷺ وفعله، وما كان من عمل أصحابه الذي يأخذ منه ما استقر عليه الحال آخر حياته. لأنّهم كانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمره. وكذلك إذا رجعت إلى كتاب الأمّ لتلميذ مالك الإمام الشافعي فإنّك تجده قد بنى فقهه على الكتاب وما ثبت عنده من السنة.

وهكذا كان التعلم والتعليم في القرون الفضلى مبناها على التفقه في القرآن والسنة، روى ابن عبد البر في الجامع عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: 79)، قال الضحاك«: حق على كلّ من تعلم القرآن أن يكون فقيها». وروى عن عمر – رضي الله عنه – أنّه كتب إلى أبي موسى – رضي الله عنه –: " أمّا بعد فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية". وقال الإمام ابن حزم في كتاب الإحكام، وهو يتحدث عن السلف الصالح كيف كانوا يتعلمون الدين: "كان أهل هذه القرون الفاضلة المحمودة – يعني القرون الثلاثة – يطلبون حديث النبي ﷺ والفقه في القرآن، ويرحلون في ذلك إلى البلاد فإن وجدوا حديثا عنه عليه السلام عملوا به واعتقدوه". ومن راجع كتاب العلم من صحيح البخاري ووقف على كتاب جامع العلم للإمام ابن عبد البر عصري ابن حزم وبلديه وصديقه، عرف من الشواهد على سيرتهم تلك شيئا كثيرا.

هذا هو التعليم الديني السني السلفي، فأين منه تعليمنا نحن اليوم وقبل اليوم، بل منذ قرون وقرون؟ فقد حصلنا على شهادة العالمية من جامع الزيتونة ونحن لم ندرس آية واحدة من كتاب الله، ولم يكن عندنا أي شوق أو أدنى رغبة في ذلك. ومن أين يكون لنا هذا ونحن لم نسمع من شيوخنا يوما منزلة القرآن من تعلم الدين والتفقه فيه، ولا منزلة السنة النبوية من ذلك. هذا في جامع الزيتونة فدع

عنك الحديث عن غيره ممّا هو دونه بعديد المراحل.

فالعلماء - إلاّ قليل منهم - أجانب أو كالأجانب من الكتاب والسنة من العلم فهما والتفقه فيهما. ومن فطن منهم لهذا الفساد التعليمي الذي باعد بينهم وبين العلم بالدين وحملهم وزرهم ووزر من في رعايتهم لا يستطيع - إذا كانت له همة ورغبة - أن يتدارك ذلك إلا في نفسه. أمّا تعليمه لغيره فإنّه لا يستطيع أن يخرج فيه عن المعتاد، الذي توارثه عن الآباء والأجداد رغم ما يعلم فيه من فساد وإفساد.

ونحن بعد أن بيّنّا تعليم الدين من سنة النبي ﷺ ومن عمل السلف الصالح من أهل القرون الفاضلة المحمودة، ومنهم إمامنا إمام دار الهجرة مالك، فإنّنا عقدنا العزم على إصلاح التعليم الديني في دروسنا حسب ما تبلغ إليه طاقتنا إن شاء الله تعالى. وسننشر ما يكون من ذلك في الجزء الآتي إن شاء الله عليه توكلنا وعليه فليتوكل المؤمنون[1].

- 2 -

قد ذكرنا في المقال السابق ما كان عليه التعليم الديني في عهد السلف الصالح من التفقه في الدين بالتفقه في القرآن والأحاديث النبوية، وذكرنا الحالة التي انتهى إليها في عصرنا من هجر القرآن والسنة، والاقتصار على الفروع العلمية المنشرة دون استدلال، ولا تعليل، واستشهدنا على ذلك بحالتنا نحن أنفسنا لما أخذنا شهادة العالية من جامع الزيتونة - عمره الله - بدوام ذكره. ونريد أن نذكر اليوم أن هذا الإعراض عن ربط الفروع بأصولها ومعرفة مآخذها، هو داء قديم في هذا المغرب من أقصاه إلى أدناه، بل كان داء عضالا فيما هو أرقى من المغارب الثلاث وهو الأندلس. ونحن ننقل فيما يلي كلام إمامين عظيمين من أئمة الأندلس المتبعين لمالك رحمه الله.

قال الإمام عمر بن عبد البر المتوفى سنة 493هـ في (جامع بيان العلم وفضله): "واعلم أنه لم تكن مناظرة بين اثنين أو جماعة من السلف إلا لتفهم وجه الصواب، فيصار إليه ويعرف أصول القول وعلته، فيجري عليه أمثلته ونظائره، وعلى هذا الناس في كل بلد إلا عندنا كما شاء الله ربنا، وعند من سلك سبيلنا من أهل المغرب فإنهم لا يقيمون علة ولا يعرفون للقول وجها، وحسب أحدهم أن يقول فيها رواية لفلان، ورواية لفلان، ومن خالف عندهم الرواية التي لا يقف على معناها، وأصلها، وصحة وجهها، فكأنه خالف نص الكتاب وثابت السنة ويجيزون حمل الروايات المتضادة في الحلال والحرام، وذلك خلاف أصل مالك. وكم لهم من خلاف في أصول مذهبه مما لو ذكرناه لطال الكتاب بذكره ولتقصيرهم في علم أصول مذهبهم، صار أحدهم إذا لقي مخالفا ممن يقول بقول أبي حنيفة أو الشافعي أو داوود ابن علي، أو غيرهم من الفقهاء وخالفه في أصل قوله بقي متحيرا ولم يكن عنده أكثر من حكاية قول صاحبه فقال: هكذا قال فلان، وهكذا روينا، ولجأ إلى أن يذكر فضل مالك ومنزلته، فإن عارضه الآخر بذكر فضل إمامه أيضا صار في المثل كما قال الأول:

شكونا إليهم خراب العراق ... فعابوا علينا شحوم البقر
فكانوا كما قيل فيما مضى ... أريها السُّها وتريني القمر

وفي مثل ذلك يقول منذر بن سعيد البلوطي:

عذيري من قوم يقولون كلما ... طلبت دليلا، هكذا قال مالك
فإن عد تقالوا: هكذا قال أشهب ... وقد كان لا تخفى عليه أسمالك
فإن زدت قالوا: قال سحنون مثله ... ومن لم يقل ما قاله فهو آفك
فإن قلت قال الله ضجوا وأكثروا ... وقالوا جميعا: أنت قرن مماحك
وإن قلت قد قال الرسول فقولهم ... أتت مالكا في ترك ذاك المسالك

هذا إمام من أئمة الإسلام العظام المجمع على إمامتهم وعدالتهم، ومن أعظم المتبعين لمالك الآخذين بمذهبه، وها هو يشكو مرَّ الشكوى مما كان عليه أهل بلدة الأندلس في القرن الخامس وينعي عليهم ما انفردوا به هم، وأهل

الغرب من الجمود والتقليد، وحملهم للروايات المختلفة دون معرفة وجوهها، ومخالفتهم لأصل مذهب الإمام الذي ينتسبون إليه، وعدولهم عن النظر والاستدلال المأمور بهما كتابا وسنة المعمول بهما عند جميع الأئمة إلى الاحتجاج بفضل القائل وعلمه، والإجماع على أنه قد يصيب المفضول، ويخطى الأفضل، ورحم الله عمر بن الخطاب في قوله: "امرأة أصابت ورجل أخطأ " واستشهد ابن عبد البر بأبيات القاضي منذر بن سعيد البلوطي المولود سنة 265 المتوفي سنة 355 -لتبيين قدم هذا الداء في الأندلس وشكوى العلماء الأعلام منه وإنكارهم على أهله.

وقال الإمام ابن العربي الأندلسي المتوفي سنة 543هـ في (العواصم) وهو يتحدث عن فقهاء عصره: "ثم حدثت حوادث لم يلقوها في منصوصات المالكية فنظروا فيها بغير علم فتاهوا: وجعل الخلف منهم يتبع في ذلك السلف، حتى آل المثال أن لا ينظر إلى قول مالك وكبراء أصحابه، ويقال قد قال في هذه المسألة أهل قرطبة وأهل طلمنكة وأهل طلبيرة وأهل طليطلة: فانتقلوا من المدينة وفقائها إلى طلبيرة وطريقها."

فهذا الإمام العظيم قد عاب عليهم نظرهم في الحوادث بغير علم لأن ما عندهم من الفروع المقطوعة عن الأصول لا يسمى علما ولما لم تكن عندهم الأصول تاهوا في الفروع المنتشرة ومحال أن يضبط الفروع من لم يعرف أصولها، وذكر ما أدَّاهم إليه إهمال النظر، من الانقطاع عن أقوال مالك نمسه، وأمثاله إلى أمثالهم من الفروعيين التائهين الناظرين بغير علم.

فإذا كان الحال هكذا من تلك الأيام في تلك الديار وقد مضت عليه القرون في هذه البلاد وغيرها فإن قلْعه عسير، والرجوع بالتعليم إلى التفقه في الكتاب والسنة وربط الفروع بالمآخذ والأدلة أعسر وأعسر، غير أن ذلك لا يمنعنا من السعي والعمل بصدق الرجاء وقوة الأمل، وسننفذه في دروسنا هذا العام والله المستعان[1].

الملحق الثالث:

في الشمال الإفريقي:

كلمة صريحة

حقا إننا نعيش في وسط سادت الفوضى فيه من جميع جهاته، فمن فوضى في الدين إلى فوضى في الأخلاق، إلى فوضى في الاقتصاد. وزادتنا الأيام على كل ذلك فوضى جديدة ربما كانت أخطر الفوضات وأشدها تأثيراً على حياة الأمة وهي فوضى التكلم باسم الأمة.

فما من متكلم في أي مناسبة من المناسبات إلا ورفع عقيرته مدعياً بأنه إنما يمثل الأمة الإسلامية قاطبة في هذه البلاد، وأن الكلمات التي يقولها من عند نفسه إنما هي كلمة الحق وقولها الفصل. ولو أنهم اقتصدوا في القول ولم يلجوا باب الغلو والإسراف، وقالوا إننا نتكلم باسم الفريق الذي انتخبنا، أو باسم الهيئة التي ننتمي إليها، أو باسم الجماعة التي نحن منها أو باسم الذين يشاركوننا في الرأي والتفكير، لكان قولهم أصوب، ورأيهم أصلح، وكلامهم أقرب إلى نفوس السامعين من رجال الحكومة ومن رجال الشعب.

وإننا نتكلم اليوم حول هذا الموضوع إثر ما رأيناه من الحملة التي أجمعت الأمة على مجابهة جريدة الطان بها، وإثر اجتماع اللجنة الوزارية الإسلامية بباريس.

قال البعض من النواب المحليين، ومن الأعيان ومن كبار المتوظفين بهذه البلاد، أن الأمة الإسلامية الجزائرية مجمعة على اعتبار نفسها أمة فرنسية بحتة، لا وطن لها إلا الوطن الفرنسي، ولا غاية لها إلا الاندماج الفعلي التام في فرنسا، ولا أمل لها في تحقيق هذه الرغبة إلا بأن تمد فرنسا يدها بكل سرعة، فتلغي جميع ما يحول دون تحقيق هذا الاندماج التام. بل لقد قال أحد النواب النابهين أنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر، وفتش عنها

في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر، وأخيرا أشرقت عليه أنوار التجلي فإذا به يصيح: فرنسا هي أنا!

حقا إن كل شيء يرتقي في هذا العالم ويتطور، حتى التصوف فبالأمس كان يقول أحد كبار المتصوفين:

فتشـــت عليـــك يـــا الله وجـــدت روحـــي أنـــا الله

واليوم يقول المتصوف في السياسة:

فتشـــت عليـــك يـــا فرانســـا وجـــدت روحـــي أنـــا فرانســـا

فمن ذا الذي يستطيع بعد اليوم أن ينكر قدرة الجزائري العصر على التطور والاختراع؟

إن هؤلاء المتكلمين باسم "المسلمين الجزائريين "والذين يصورون الرأي العام الإسلامي الجزائري بهذه الصور، إنما هم مخطئون يصورون الأمور بغير صورتها ويوشكون أن يوجدوا حفيرا عميقا بين الحقيقة وبين الذي يجب أن يعرفها: فهم في واد والأمة في واد، ويريدون أن يضعوا رجال الإدارة العليا في واد ثالث.

لا يا سادتي !نحن نتكلم باسم قسم عظيم من الأمة، بل ندعي أننا نتكلم باسم أغلبية الأمة فنقول لكم ولكل من يريد أن يسمعنا، ولكل من يجب عليه أن يسمعنا، إن أراد أن يعرف الحقائق ولا يختفي وراء آكام الخيال: نقول لكم إنكم من هذه الناحية لا تمثلوننا ولا تتكلمون باسمنا، ولا تعبرون عن شعورنا وإحساسنا. إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية. ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها، بما فيها من حسن وقبيح، شأن كل أمة في الدنيا.

ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون

فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت. بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها، وفي دينها، لا تريد أن تندمج. ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة، والذي يشرف على إدارته العليا السيد الوالي العام المعين من قبل الدولة الفرنسية.

ثم إن هذا الوطن الجزائري الإسلامي صديق لفرنسا مخلص، وإخلاصه إخلاص قلبي لا إخلاص ظاهري، يخلص لها إخلاص الصديق لصديقه لا إخلاص التابع لمتبوعه. فهو في حالة السلام والأمن يطلب من فرنسا أن تحترم دينه ولغته، وتمهد له السبيل ليرتقي ضمن دينه ولغته وأخلاقه، وتسبغ عليه نعم الحرية والعدل والمساواة حتى يصبح في رقيه وحريته وسعادته نموذجا للإدارة الفرنسية والتعاون الأهلي الفرنسي، وتستطيع فرنسا أن تفاخر به الذين يتباهون بما علموه في مستعمراتهم الحرة.

أما في حالة الأزمات العالمية، وحين اشتداد الخطب وإذا تكلم الرصاص وارتقت السيوف فوق منابر الرقاب فالمسلم الجزائري يهب كالليث من عرينه، للدفاع عن الأرض الفرنسية كما يدافع عن أرضه الجزائرية وعن حريمه وأطفاله. ولو لم تجنده فرنسا لسار للدفاع عنها متطوعا. ولنا في مختلف الواجهات الحربية الفرنسية عشرات الآلاف من قبور المتطوعين تشهد بهذا.

فنحن الجزائريين المسلمين العائشين في وطننا الجزائري، والمستظلين بالعلم الفرنسي المثلث الألوان، والمتحدين مع الفرنسيين اتحاداً متيناً لا تؤثر عليه الحوادث الطفيفة أو الأزمات السطحية، نعيش مع الفرنسيين، عيش الأصدقاء المخلصين، نحترم حكومتهم وقوانينهم ونطيع أوامرهم ونواهيهم، ونريد منهم أن يحترموا ديننا ولغتنا، ويحفظوا كرامتنا، ويأخذوا بأيدينا في طريق النهضة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهكذا نعيش وإياهم أصدقاء مخلصين، وإذا جاءت ساعة الموت في سبيل الدفاع عن الوطن الفرنسي وعن الوطن الجزائري، وجدونا في صفوفهم الأولى لنموت إلى جانبهم موت

الأصدقاء المخلصين.

وعلى هذا الأساس، توضع الأمور في مواضعها ويحصل التفاهم ويزول كل التباس.

اللجنة الوزارية

هذه الفكرة جميلة هي نفسها، فكرة تأليف لجنة من مسلمي الجزائر، يستشيرها رجال الوزارات الفرنسية المختلفة في المسائل التي تهم البلاد الجزائرية، حتى تسير الحكومة الفرنسية في سياستها الجزائرية على هدى وعلى نور الإرشادات الصادقة التي تستمدها من رجال تلك اللجنة.

بل إن تشكيل تلك اللجنة يدلنا دلالة صادقة على رغبة حكومة فرنسا في درس المسائل الإسلامية الجزائرية دراسة عميقة، حتى تتقي في المستقبل الأخطاء التي كانت ترتكب من قبل.

لكن الفكرة إن كانت جميلة في نفسها، فإنها كانت غير موفقة في تنفيذها، ذلك أن الإدارة العليا لم تلاحظ إلا الفكرة السياسية في انتخاب أعضاء هذه اللجنة وعمدت إلى ذلك الانتخاب بصفة مستعجلة فكان أعضاء اللجنة من جراء ذلك لا يستطيعون أن يخوضوا في مختلف المسائل

المعروضة عليهم، والتي يتطلب الكثير منها معرفة فنية عميقة. لقد استلفت أنظارنا أخيرا خوض هذه اللجنة في مسألة "الترشيد "كما كانت من قبل خاضت في شأنها أثناء جلساتها الأولى، وهذه المسألة علمية فقهية بحتة، يجب لحلها تضلع في الفقه وتعمق في دراسة الكتب الدينية والقوانين الدينية المختلفة مما وضع في استامبول والبلاد المصرية وغيرها.

فإلى جانب بعض المستشرقين الذين يحضرون اللجنة والذين لا ننكر عميق اطلاعهم وسعة معلوماتهم، نجد بعض أعيان الباشاغاوات، ولا نطعن فيهم إذا قلنا أنهم ليسوا بأصحاب معلومات فقهية، ونجد بعض الدكاترة وليسوا من أصحاب الموطأ ولا من قراء سحنون، ونجد غيرهم ممن توفرت فيهم بعض

شروط سياسية أو اقتصادية، إلا أنهم لا يستطيعون الخوض أي خوض في أي مسألة دينية مهما قل أمرها وصغر شأنها. فهذه المسألة الدينية إذا استثنينا شخص الشيخ ابن الساسي قاضي قسنطينة لا نجد من يستطيع أن يقول فيها كلمة.

ونحن اليوم في ساعة بناء وترميم، ولا نريد أن نترك مثل هذه المسائل مهملة فتعتقد فرنسا أنها عملت ما يجب عمله، ويقول لها بعض المتكلمين "باسم الأمة الإسلامية "إنها قد عملت حقا في هذا الباب ما يجب أن يعمل، في الوقت الذي نعتقد نحن فيه أن ما عملته إنما هو عديم الفائدة وقليل الجدوى.

نرى نحن أن إصلاح هذه اللجنة أمر واجب وسريع، ونرى أنه إصلاح سهل ميسور. فلكي تمثل هذه اللجنة كل طبقات الأمة، ولكي تستطيع الخوض في جميع المشاكل المعروضة على أنظارها، وتقدم للحكومة إرشادات صائبة يمكن أن تكون أساسا لأعمال موفقة، يجب أن تشمل:

أولا - ثلاثة من كبار العلماء الرسميين تنتخبهم الإدارة من بين رجال القضاء والافتاء بالقطر الجزائري.

ثانيا - ثلاثة من كبار العلماء الغير المتوظفين.

ثالثا - ثلاثة من رجال مجلس النيابات المالية ينتخبهم رفقاؤهم.

رابعا - ثلاثة منتخبون من المجالس العمالية.

خامسا - ثلاثة من كبار المتوظفين الإداريين المسلمين تنتخبهم الحكومة.

سادسا - ثلاثة من الفلاحين والتجار والصناع.

فاللجنة التي تتألف من مثل هؤلاء الرجال، يمكنها أن تتفاوض مع رجال فرنسا في مختلف المسائل والمشاكل الجزائرية، ويمكنها أن تؤلف لجانا فرعية مختصة: لجنة دينية، ولجنة اقتصادية، ولجنة سياسية، ولجنة اجتماعية، الخ - فهذه اللجان التي يباشر أعمالها رجال متخصصون يمكنها أن تدرس المسائل المعروضة عليها دراسة مدققة، ويمكنها أن تنير أفكار الحكومة والوزارات قبل

إقدامها على تشريع قوانين تنفذ على الجزائر. وتكون اللجنة كلها أشبه شيء ببرلمان صغير جزائري يعمل إلى جانب حكومة باريس ويكون لها مرشدا ومعينا.

فإصلاح اللجنة، سواء في طريقة عملها أو في طريقة جمع أعضائها، ليس من مصلحة الجزائريين فحسب بل هو في مصلحة الإدارة العليا الفرنسية أكثر من ذلك.

أما بقاء اللجنة على حالها، واستمرارها على خوض الكثير من المسائل دون استعداد وسابق دراسة، فإننا لا نكتم الإدارة العليا أن هذا العمل الذي يستطيع أن يكون مثمرا، قد يصبح موجبا للازدراء

ولا تكون له من نتيجة إلا خيبة الآمال التي كانت معلقة من الطرفين عليه.

فعسانا نرى من الحكومة التفاتا إلى هذه اللجنة، فتخرجها من دور التكوين إلى دور العمل الصحيح، وتجعلها وسيلة من وسائل التفاهم والعمل المشترك والتعاون الصادق في سبيل المصلحة العامة.

الإضراب التونسي:

هاجت تونس وحق لها أن تهيج، وأضرب طلبة الجامع الأعظم [1] وحق لهم أن يضربوا، وتظاهروا في الطرق العامة، وكان حقا عليهم أن يتظاهروا، فليست الصدمة التي صودم بها طلبة الجامع المعمور والمتخرجون منه بالصدمة الصغيرة، وليس التهديد الذي جرد سيفه الماضي على رؤوسهم بالتهديد الخفيف. فإن النصوص القانونية التي شملها الأمر العلي المتعلق بالوظائف العمومية، يجعل سائر الطبقات الزيتونية إلى نحو الخمسة أعوام أخرى، بعيدة عن الوظائف العمومية ومناصب الإدارة، وكأنما ذلك الأمر العلي قد صدر خصيصا لإقصاء هذه الطبقة التي هي روح الأمة التونسية عن الوظائف العامة وعن الإدارة التونسية كلها.

أرادت هيأة التشريع التونسية المختفية وراء الأوامر العلية، أن يزداد حسن التفاهم بين سائر المتوظفين من فرنسيين وتونسيين، ففرضت على كل راغب وظيفة من التونسيين أن يكون ملما بمبادئ اللغة الفرنسية وكل راغب وظيفة من الفرنسيين أن يكون ملما بمبادئ اللغة العربية، بحيث يستطيع كل منهما أن يقوم بمحادثة بسيطة باللغة الأخرى.

وقد جاء ما نصه في الأمر المذكور: "لا يمكن لأي متوظف تونسي ما عدا حكام المحاكم الشرعية أن يحرز على تسميته بصفة رسمية إلا إذا أثبت تحصيله على نفس درجة المعارف المذكورة في اللغة الفرنسوية.

فمفهوم هذا الفصل ومنطوقه يدلان على أن لن يستطيع التوظف من خريجي المعهد الزيتوني في أي إدارة تونسية إلا من كان محرزا على مبادئ اللغة الفرنسية، وبما أن القانون المذكور لم يترك أجلا في وجه المتعلمين لتعاطي الدروس الفرنسية، وبما أنه لا يوجد بين أساطين الجامع الأعظم شيوخ يلقنون إلى جانب شرح ميارة وحاشية التاودي مبادئ .A. B. C. D، فإن طلبة الجامع الأعظم رأوا أن جهودهم كلها أصبحت عبثاً، وأن آمالهم جميعا قد انهارت وأنه فيما عدا القضاة ورجال الإفتاء وهم رؤساء المحاكم الشرعية، لا يستطيع أن يتطلب منهم التوظيف أحد.

أضرب الجامع عن تلقي الدروس، ووقعت المظاهرات الهادئة الرصينة فقلبتها أعمال البوليس مظاهرة حادة دامية، وأوصدت المدينة التونسية أبوابها احتجاجا وتضامنا مع طلبة الكلية الزيتونية، فما كان لذلك من أثر عند الإدارة التونسية إلا أمرها بإبعاد فوج جديد من التونسيين إلى برج لوبوف وتقديم جماعة كبيرة إلى المحاكم الفرنسية فنالوا عقابا صارما من السجن والإبعاد. وهكذا استمر مسيو بيروطون على سياسة العنف الفاشستي إلى آخر لحظة من مدة حمكه بتونس.

أصدرت الحكومة بلاغا تناقض فيه نفسها، وتخفف وطأة قانونها الأخير، فقالت في ذلك البلاغ أن الزيتونيين الذين لا يحسنون الفرنسية قد بقيت أمام

وجوههم عدة وظائف يمكنهم التطلع إليها كأعضاء المحاكم الشرعية وأعوانها الإداريين كالعدول المحررين والكتبة والنساخين والعدول العموميين وخطط قسم الأمور الشرعية بوزارة العدلية وخطط القسم الأول من الوزارة الكبرى وخطط العمال والكواهي وكافة خطط الجامع الأعظم والشعائر الدينية والأوقاف.

فالأمر العلي يوصد باب التوظف إلا لحكام المحاكم الشرعية، وهذا البلاغ الحكومي يناقضه ويفتح الباب لهذه الخطط، إنما العمل الرسمي لا يقع إلا بناء على الأوامر، ولا اعتبار للبلاغات فيه.

فحركة الإضراب في المسجد المعمور لا تزال جارية إلى أن يصدر أمر جديد يزبل عن الأنفس الحيرة والارتباك، والهيجان لا يزال مستوليا على أنفس كل التونسيين من جراء هذه الضربة الصارمة، والجيش العرمرم من رجال تونس وخير شبانها لا يزال يتضاعف عدده في المنفى ببرج لوبوف حيث الآلام والأسقام، والصحافة التونسية المغلولة اليد لا تتجاسر على قول كلمة أو إبداء إشارة إلا تلميحا أو من طرف خفي، وما تجاسر البعض منها على طلب إرجاع المبعدين إلا عندما تحققت نقلة بيروطون من تونس. والأفواه مكممة بحيث لا يستطيع الإنسان أن يفتح فمه بانتقاد أو ملاحظة خشية أن ينتزع في منتصف الليل من بين أهله وذويه ويسار به إلى برج لوبوف. والاستياء العام سائد بين سائر الطبقات كالنار تحت الرماد. هذه هي حقيقة الحالة بتونس كما تركها مسيو بيروطون عندما أمرت الحكومة بنقله إلى المغرب الأقصى ليمثلها هنالك بدل مسيو بونسو الذي أخفق في إدارة السلطنة المغربية.

وإننا لنتمنى أن يسلك مسيو فيون المقيم الجديد بتونس سياسة اللين والتسامح فيعيد إلى الأنفس اطمئنانها، ويرتق ما فتقه سلفه، معتمدا على المفاهمة والمشاركة الصادقة[1].

الملحق الرابع:

حول كلمتنا الصريحة

لقد أحدثت الكلمة الصريحة التي نشرناها بالعدد الأسبق من الشهاب أثرها المطلوب، وكان لها الدوي العظيم الذي كنا نتوقعه لها. فتلك كانت أول مرة فيما نعلم، جوبهت فيها الحكومة وجوبه فيها رجال السياسة بحقيقة ناصحة، هي عين الحقيقة التي تعتقدها الأمة، وفيها بيان لعواطف وإحساس وشعور الأغلبية المطلقة من سكان هذا الوطن الجزائري.

فأما الذين طهرت سريرتهم وخلصت نيتهم، فقد حبذوا خطتنا وشكروا لنا صراحتنا، وحمدوا لنا هذا الموقف الذي وقفناه ضد محاولات التجنيس الخائبة، ومحاولات هدم القومية واللغة والدين المجرمة، إذ بينا في جلاء ووضوح أننا مع احترامنا للسلطة الفرنسية، وإطاعتنا لقوانين الجمهورية، نريد ونستطيع أن نحافظ على ذاتيتنا الخاصة، وما فيها من مميزات اللغة والدين والإخلاص والثقافة ولا نريد بأي حال من الأحوال ولا نستطيع أن ننسلخ طوعا واختيارا أو كرها وجبرا على تلك الذاتية، وما فيها من مميزات، وما لها من حقوق.

وأما الذين في قلوبهم مرض، والذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، وأنكروا ما لهذه الأمة من مجد، وما لها من تاريخ، وما لها من روابط تجعل منها أمة متحدة ومتجانسة لها من الاتحاد والتجانس ما لأكثر الأمم تجانسا واتحادا في كل بلاد الأرض فأولئك قوم فزعوا من مقالنا كما تفزع الخفافيش عندما ينبثق نور الفجر، ومنهم من انتقد ومنهم من رد، ومنهم من أفحش وأقذع، وأن إلى الأمة التي أنكروها إيابهم، وأن عليها - مهما تجاهلوها - حسابهم.

إن كلمتنا الصريحة قد وضعت الكثير من الرجال على المحك، فمنهم من ظهرت نفسه من در مكنون، ومنهم من انطوت جوانبه على حمأ مسنون.

وإنا لنشهد أن من أكمل الرجال الذين رأينا فيهم بهذه المناسبة، الهمة الحالية، وشرف النفس، وطهارة الضمير، الأستاذ فرحات عباس الصيدلي، والعضو البلدي والعمالي بسطيف.

كان هذا الرجل الأبي من أهدافنا في مقالنا (كلمة صريحة) وهو الذي آخذناه عن مقاله (فرنسا هي أنا) وقلنا له ولمن معه إنكم عندما تسمعون لسياسة الاندماج، وتحبذون التجنيس، وترضون ضياع حقوقنا الإسلامية مقابل حق الانتخاب، وتريدون -خلافا للطبيعة - أن يصير جمهور المسلمين بهذه البلاد جمهورا فرنسيا بحتا، لا يختلف عن الجماهير الفرنسية في شيء، إنكم عندما تسعون وتحبذون هذا لا تمثلوننا ولا تتكلمون باسمنا، وإنكم في واد والأمة في واد آخر.

فالسيد فرحات عباس، لم يتألم ولم يتكدر، وسلك مسلك كبار رجال السياسة الذين يحبذون النقد وينصاعون لكلمة الحق، فزار إدارة الشهاب، وأكد لها تقديره لجهودها، وجرت له مع صاحب الشهاب محادثة دلت على سمو أدبه وعلو كعبه في عالم السياسة والتفكير.

ثم نشر مقالا في جريدة(لا ديفانس) [1] الصادقة الثابتة الجسورة، يبين فيه نظريته، ويشرح فيه فكرته الاجتماعية التي بنى عليها سلوكه السياسي، وسيجد قراؤنا تعريب هذا المقال إثر فصلنا هذا.

ولقد تولت بعض الدوائر مهاجمتنا، مستترة وراء جريدة النجاح، ووراء ورقة تدعى (صدى الصحافة الإسلامية)، ولقد كنا ننتظر من تلك الدوائر التي هاجمتنا، مناقشة هادئة تتناسب مع وقارها، وكنا ننتظر منها نضالا بأسلحة حادة، لكن خاب أملنا في الأمرين. فالمناقشة كانت صبيانية الشكل والموضوع، والأسلحة كانت عتيقة مفلولة أبلتها كثرة الاستعمال.

فأما السلاح الذي استعمل ضدنا في النجاح فهو أسئلة وضعها رجل كبير، وأمضاها رجل صغير وقد حسب الذين قدموا لنا هذه الأسئلة أنهم يحرجوننا بوضع البحث فوق ميدان الاستقلال، كأننا قد رفعنا علم العصيان، ونادينا بفصل الجزائر عن فرنسا من الآن.

فهو يسألنا أولا: متى كانت حدود الجزائر على ما هي عليه الآن؟ وإننا نجيبه لنفرض أن حدود الجزائر لم ترسم على صفتها الحالية شرقا وغربا إلا منذ نحو مائة عام، فهل له أن يجيبنا متى كانت حدود فرنسا وألمانيا وإيطاليا والنمسا والمجر ورومانيا ويوغوسلافيا واليونان وبلغاريا كما هي الآن؟ وهل لم تتغير المرات العديدة خلال هذه المائة عام؟ ثم يسألنا: متى كانت بلاد الجزائر مستقلة؟ ونحن نقول له: إن ضربنا صفحا عن الدول الإسلامية المستقلة التي نشأت وازدهرت بالقطر الجزائري، وسلمنا بأن القطر الجزائري بصفته الحالية لم يكن مستقلا في وقت من الأوقات، فهل لحضرة السائل أن يجيبنا: متى كانت دولة تشيكوسلوفاكيا مستقلة؟ وإلى أي عهد يرجع استقلالها؟

ويسألنا أخيرا، ما هي وحدة اللغة التي تكلمنا عنها في كلمتنا الصريحة، فهل هي اللغة العربية، والحال ليس كذلك، كما يقول، أم ماذا؟

فهل نستطيع أن نجيبه بأن لغة هذا الوطن ليست عربية بدليل أن جريدة النجاح تنشر بلغة الصين، وأن الجريدة الرسمية الحكومية تنشر إلى جانب نسختها الفرنسية نسخة بلغة النبط والكلدانيين؟ أم نقول له أن الواقع يثبت بأنه لا يوجد في أرض الجزائر إلا واحد في المائة فقط من السكان المسلمين لا يتكلم العربية. ثم نسأله: هل لا توجد في فرنسا إلى جانب اللغة الرسمية الفرنسية لغات أخرى ذات آداب ولها صحف سيارة وبتكلمها الملايين من الناس، وخاصة بالألزاس، وبجهات الفلاندر، وببلاد ابروتانيا التي يقوم أهلها بحملة تكاد تكون ثورية لإجبار الحكومة على تعليم لغتهم بالمدارس، وببلاد البروفانس، وضواحي مرسيليا، وبجزيرة كورسيكا؟

وهل توجد وحدة اللغة، كما توجد بالقطر الجزائري، في رومانيا، ويوغوسلافيا، وتشيكوسلوفاكيا إن لم نتكلم إلا عن هذه البلاد؟

وأما السلاح الذي استعمل ضدنا بصدى الصحافة الأهلية، والذي خرج من معمل جريدة الهك القديمة وكتب بأقلام محرريها، ونحن لا نشرِّفهم بذكر اسمهم، احتقارا لا جهلا، فهو ذلك الشتم البذيء الرقيع، سلاح الأسافل العاجزين، فصاحب الشهاب عند أولئك السادة: أحمق. مجنون، أخرق، جاهل غبي، مجرم، وهو بوحماره الخارجي الذي أثار إفريقيا قصد تأسيس دولة فوق الخرائب، ولم يتورع الكاتب شلت يمينه عن نبش قبر عبد المؤمن بن علي قدس الله روحه، لتبشيع سياسته والحط بكرامته.

ثم يصف ذلك الكاتب الأمة الجزائرية بكل أوصاف الجهل والفوضى، والتهديم والتخريب، حتى ليكاد الإنسان يعتقد أن ذلك الرجل الذي استؤجر لينال منا، إنما استؤجر لكي يقول للناس في العالم أجمع: أنظروا كيف أصبحت حالة المسلمين الجزائريين بعد أن حكمت فرنسا بلادهم نيفاً ومائة من السنين!

ولو كنا نستطيع أن ننحطَّ إلى تلك الدركة السافلة، ونجاري أولئك المحررين - في أسلوبهم لقلنا لهم إنهم أنذال، سفهاء ليس لهم ضمير، ولا يعرفون شهامة ولا كرامة. لكننا لا نقول لهم هذا، ولا

نوجه لهم أمثال هذا الكلام، فلنا من آدابنا الإسلامية، ولنا مع شهامتنا العربية ما يمنعنا عن الانغماس في مستنقعهم النتن.

فدعهم هم والذين يملون عليهم تلك السخافات الرقيعة، يقفون أمام الرأي العام بهذه البلاد، ولننظر كيف يكون حكمه عليهم قاسيا أليما.

إننا أكدنا في (الكلمة الصريحة) رغبتنا في الاحتفاظ بكياننا العربي الإسلامي، فوق أرض هي أرض آبائنا وأجدادنا، مع احترامنا التام للسلطة وخضوعنا لقوانين البلاد.

لكن خصومنا، كما قلنا آنفا، أرادوا أن يفهموا من كلامنا أننا نريد الاستقلال

ورأوا أنهم يحرجوننا إذا وضعوا البحث على بساط الاستقلال. حتى إذا زل بنا القدم فوق هذا البساط الأملس استنزلوا علينا نقمة الحكومة وطلبوا أن نعامل معاملة الثائرين المهيجين، وأن نذهب[1] ضحية قوانين روني وما سبقها.

لكن خابت آمالهم، فنحن قوم لا نتأخر عن الخوض في مثل هذه الميادين، وأنهم لا يزعجوننا أن جرونا للبحث في مسألة الاستقلال.

إن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا. وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة، ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله ويقولون أن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد. فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أنها تزداد تقلبا مع التاريخ. وليس من العسير بل إنه من الممكن أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي والأدبي، وتتغير فيه السياسة الاستعمارية عامة والفرنسية خاصة، وتسلك فرنسا مع الجزائر مسلك

إنكلترا مع أستراليا وكندا واتحاد جنوب إفريقيا، وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا، تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر.

هذا هو الاستقلال الذي نتصوره - لا الاستقلال الذي يتصوره خصومنا المجرمون، استقلال النار والدماء - وهذا هو الاستقلال الذي نستطيع أن نحرز عليه مع الوقت، وبإعانة فرنسا وبإرادتها. وإننا لا نخشاه ولا نخشى البحث فيه.

انتهاء الأزمة التونسية:

تمت الحوادث ببلاد الخضراء على النمط الذي توقعناه في العدد السالف، فإن مسيو فيون المقيم العام الجديد قد افتتح سياسته، كما افتتحها من قبل لوسيان سان ومانصرون وبيروطون، بالركون إلى جانب الاعتدال، والوعد بسلوك طريق المشاركة الصادقة وإجابة رغائب التونسيين المعقولة.

فأول عمل تم إجراؤه هو إرضاء طلبة الجامع الأعظم المعمور، بأن أجيبت طلباتهم المتعلقة بمسألة تعلم اللغة الفرنسية، فوقع العفو على الذين نالهم العقاب الصارم منهم سواء بالسجن أو بالتغريب ثم جمع المقيم العام لجنة قررت من جهة تأخير العمل بذلك الأمر إلى شهر مارس من سنة 1943، ثم قررت من جهة أخرى استثناء الكثير من الأعمال الإدارية والقضائية من ذلك الأمر القاضي بوجوب تعلم مبادئ اللغة الفرنسية لإجراء محادثات بسيطة عادية بها.

وهذه الوظائف المستثناة هي: الحكام الشرعيون ورؤساء كتبة المحاكم الشرعية وكتبة المحاكم الشرعية ومستكتبو المحاكم الشرعية والكتبة والنساخون باللغة العربية بالمجالس المذكورة والمنشئون والكتبة والمستكتبون والنساخون باللغة العربية بالقسم الأول من الوزارة الكبرى وبالإدارة المركزية للعدلية التونسية والمدرسون التونسيون بالمدرسة الصادقية ومدرسو القسم الإسلامي من مدرسة ترشيح المعلمين ومؤدبو المكاتب الابتدائية. كما يخرج من هذا القيد أيضا رغم كونهم لا ينسحب عليهم هذا القانون العمال والكواهي والخلفاء والمشايخ وكتبة الأعمال والمدرسون وسائر متوظفي الجامع الأعظم دام عمرانه وأرباب الشعائر ومتوظفو جمعية الأوقاف والعدل والمنشؤون بالشرع العزيز. وبعد ذلك وقع الالتفات إلى الناحية السياسية، فأمر مسيو فيون بحذف "جهنم الدنيا "برج لوبوف من قائمة الأماكن التي يمكن إبعاد التونسيين إليها ثم أمر بإرجاع 62 من المبعدين السياسيين إلى أهلهم وذويهم، بعد أن ذاقوا من العذاب الأليم وتجرعوا من كؤوس البأساء والضراء ما لم نسمع بمثله إلا في تاريخ محاكم التفتيش.

ولقد بقى الزعماء الثمانية أحرارا بمراقبتي قابس وجربة، إلى أن يتفاوض معهم المقيم العام مفاوضة رجل لرجل: وهم السادة: الدكتور محمود الماطري، والأساتذة محيي الدين القليبي، والطاهر صفر، والبحري قيقة، وصالح بن يوسف، والحبيب بورقيبة، ومحمد بوزويته.

وأثناء رحلة المقيم إلى الجنوب، تقابل مع الثمانية الزعماء، وقامت بينه وبينهم مفاوضة طويلة، نشر بعدها القيم بلاغا رسميا جاء فيه:

إن المقيم أكد لهم بأنه لا يريد أن يرى في المستقبل سياسة هيجان، إذ هو عازم على تنفيذ سياسة الحماية بحذافيرها، باحترام حقوق الدولة الحامية وحقوق سمو الباي، وأنه يريد التعاون الصادق من الجميع حول هذه السياسة، وأجابوه بلسان الدكتور الماطري أنهم لن يسلكوا أبدا سياسة الهيجان، وأنهم لم يهاجموا مبدأ الحماية بل قصارى مطلبهم الإحراز على الحقوق التي يطلبها التونسيون داخل منطقة النظام الحاضر. ثم أكدُوا للمقيم أنه يستطيع أن يثق بكلامهم وأنه لن يندم على ثقته بهم.

هذه خلاصة بلاغ السفير، ونحن نعتقد وإن لم تأتنا الأنباء بعد، بأن المبعدين الثمانية قد رجعوا إلى بلادهم، واسترجعوا حريتهم بعد طول البعاد، وأن تونس ستفتح عصراً جديداً من العمل الهادئ المثمر، خاصة وأن لها في الواجهة الشعبية الفرنسية أصدقاء سيبرهنون على صداقتهم لها، فلعل الدستور والمجلس التشريعي وتحديد العلائق بين الإدارتين تكون من نتائج هذا الدور الذي نرجو أن يكون موفقاً سعيداً[1].

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المعاجم :

1- ابن منظور ، لسان العرب ،دار صادر ،ط 4 ،بيروت ،2005 ،مجلد 3.

2- باتريك شارودو- دومينيك منغنو ،معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمّادي صمود ،مرا : صلاح الدين الشريف، دار سيناترا، د ط ،تونس، 2008 م.

ثانيا:المصادر والمراجع :

3- أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثارها في الدراسات النحوية والمعاصرة، عالم الكتب الحديث ،ط1 ،الأردن ،2015 .

4- آن روبول – جاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، تر:مجوعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مرا: خالد ميلاد، دار سيناترا،د ط، تونس، 2010 م

5- آن روبول وجاك موشلار ،التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر:سيف الدين دغفوس دار الطليعة للطباعة والنشر،ط1، بيروت، لبنان ،2003 م.

6- تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر ،منشوراتANEP ،ط5 ،الجزائر،2001 م.

7- خديجة بوخشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، دط ، دت .

8- خطابي محمد عبد الرحمن ، لسانيات النّص وتحليل الخطاب ، دار كنوز المعرفة ،ط1، عمان، 2013 ،ج1 .

9- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1 ،الدار البيضاء ،1998 م.

10- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي، دار القلم ،ط4 ،دمشق،1993 م .

11- عبد الرحمن عبد الحميد علي ،معالم المقال الأدبي والصحفي ،دار الكتاب الحديث ،دط، القاهرة ،2008 م.

12- عبد الملك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830 – 1962) – رصد لصورة المقاومة في النثر الفني-، دار هومة لطباعة والنشر والتوزيع ،ب ط، الجزائر ،2009م ،ج 2.

13- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب : مقاربة لغوية تداولية ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط1 ،بيروت ، لبنان ،2004 .

14- عز الدين مجدوب ،إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين ،تر :محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس ،المجمع التونسي للعلوم والآداب « بيت الحكمة» ،دط ،تونس ،2012 ،جزء 2 .

15- عمار الطالبي ،آثار ابن باديس ،الشركة الجزائرية ،ط1 ،الجزائر ،1968م ،ج1 ،م2 .

16- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، دار الأمان، ط1، الرباط،2011 م.

17- عيسى عمراني، المدرسة الباديسية ومناهجها الدراسية، تق:عبد العزيز فيلالي، دار الهدى، ب ط ،عين المليلة، الجزائر ،ب ت .

18- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية ،تر: سعيد علوش ،مركز الأهاء القومي ،د ط ،د ت ،

19- محمود بن سمينة ،أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، دار الكتاب العربي ،ط1 ،الجزائر ،2014م.

20- محمود عكاشة ،النظرية البرجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ ، مكتبة الآداب ،ط1 ،القاهرة ،2013 .

21- محمود يوسف نجم، فن المقالة، دار الثقافة ،ط4 ،بيروت ، لبنان ،1966م.

22- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، جدار للكتاب العالمي ،ط1 ،عمان، الأردن،2009 .

قائمة المجلات :

23- انمار إبراهيم أحمد ،في مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبي ،الكلمة المفتاح :الاستلزام التخاطبي ، مجلة الديالي ، كلية الآداب الجامعة المستنصرية ، العدد 71 ،2012 م.

24- جميلة روقاب، نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي واللسانيات التداولية – أوستن سورل نموذجا - ،الأكاديمية لدراسات الاجتماعية والإنسانية كلية الآداب واللغات ، جامعة حسيبة بن بوعلي ،الشلف، العدد 15،2016 م.

25- صلاح إسماعيل ،النظرية القصدية في المعنى عند غرايس ،حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ،مصر ،الحولية 25 ،الرسالة 230 ، 2005 م .

26- علي فرحات جواد وعلاء سامي عبد الحسين ،قواعد التخاطب اللساني في كتاب معاني القرآن للنحاس (ت 5338) مقاربة تداولية ،مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية ، جامعة المثنى ، العدد 19 ،2016 م.

27- كادة ليلى، ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ،معهد الآداب ،واللغات بالمركز الجامعي بالوادي، الجزائر، العدد الأول، 2009 م.

الرسائل الجامعية:

28- ليلى كادة ،المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا أطروحة دكتوراه ، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب واللغات،2012 م .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير ..... /

مقدمة..... أ

الفصل الأول: قواعد التخاطب مبادئها النظرية ومفاهيمها التأسيسية..... 5

تمهيد..... 5

المبحث الأول : المحادثة : مفهومها ومنطقها 12

أولا : تعريف المحادثة 12

ثانيا : منطق المحادثة (من ستراوسون إلى بول غرايس) 13

المبحث الثاني: الاستلزام : نشأته ومفهومه وأنواعه 17

أولا: نشأة الاستلزام التخاطبي 17

ثانيا :تعريف الاستلزام 19

ثالثا :أنواع الاستلزام 20

المبحث الثالث : قواعد التخاطب 22

أولا: مبدأ التعاون (Coopérative principale) 22

ثانيا: المبادئ المكملة لمبدأ التعاون 24

الفصل الثاني: قواعد التخاطب في بعض مقالات "عبد الحميد ابن باديس" 35

المبحث الأول : تعريف المقالة أنواعها وخصائصها 36

أولا : تعريف المقالة 36

ثانيا : أنواع المقالات التي تميز بها الكاتب عبد الحميد بن باديس 36

ثالثا: خصائص فن المقالة عند عبد الحميد بن باديس 40

رابعا : الحركة الإصلاحية في الجزائر 43

المبحث الثاني : مبدأ التعاون والحكم المتفرعة عنه.....45

أولا: مقالة الإصلاح أمس واليوم 45

المبحث الثالث : المبادئ التخاطبية المكملة لمبدأ التعاون 50

أولا : مبدأ التأدب.....50

ثانيا: مبدأ التواجه 51

ثالثا : مبدأ التأدب الأقصى 52

ثانيا :مقالة صلاح التعليم أساس الإصلاح.....53

ثالثا :مقالة كلمة صريحة 64

رابعا : مقالة حول كلمتنا الصريحة.....73

خاتمة.....85

ملاحق.....88

قائمة المصادر والمراجع 113

فهرس الموضوعات .....